Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جعفر الخليلي

موسوعة العتبات المقدسة

٤

قسم القدس

١

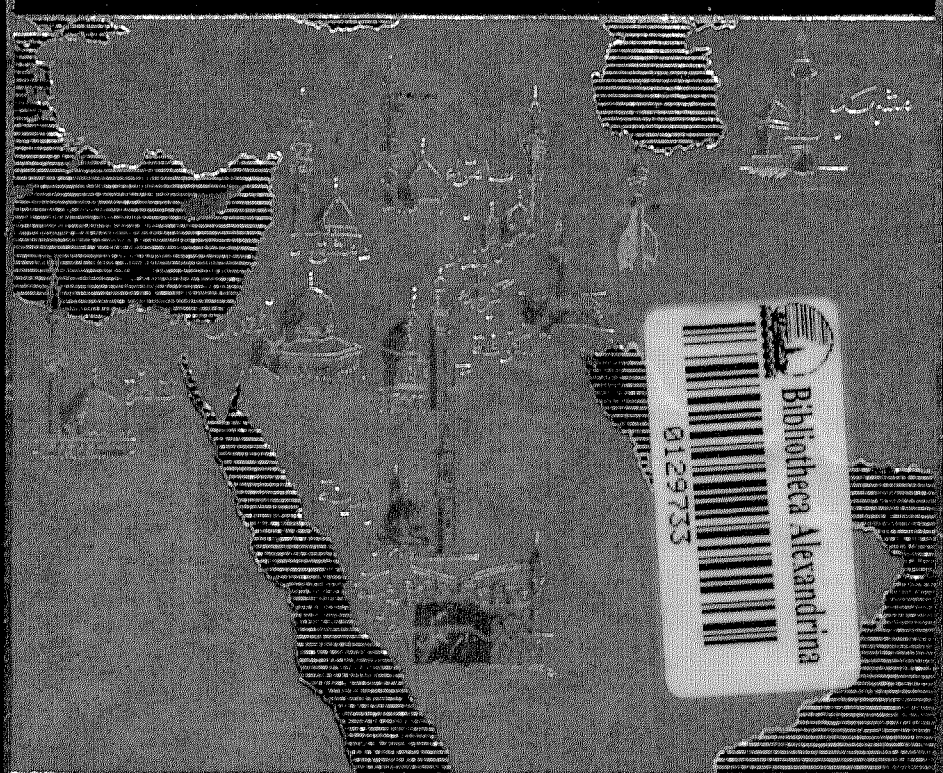

Bibliotheca Alexandrina
0126433

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مؤسسة العتبات المقدسة
قسم القدس - ٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

موسوعة العتبات المقدسة

٤

الجزء الأول من

قسم القدس

القسم الثاني

تأليف

جعفر الخليلي

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الثانية
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الارض المقدسة

في نظر الإسلام وعقيدته

كتبـــه

جعفر الخليلي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلسطين

إلمامة موجزة بتاريخ فلسطين والقدس القديمة

حدودها وموقعها

اختلف المؤرخون في تعيين حدود فلسطين القديمة اختلافاً ربما كان كبيراً وليس من سبب في هذا الاختلاف الا التغييرات التي طرأت على هذه البلاد من جراء تغيير الزمن ، والنفوذ، والاقوام ، ففلسطين القديمة كما وصفها جيمس هنري بريستد : هي الارض الواقعة الى الجهة الجنوبية الشرقية من بحر الروم، وهي شقة من الارض كما يصفها ، واقعة بين البادية شرقاً والبحر غرباً. طولها نحو ١٥٠ ميلاً ، ومساحتها نحو عشرة الآف ميل [١] .

أما ابن الاثير فيقول عنها انها الكورة المعروفة فيما بين الاردن وديار مصر وإنّ أمّ بلادها بيت المقدس [٢] .

ويقول ياقوت : انها آخر كور الشام من ناحية مصر ، وان من قصبتها البيت المقدس ، ومن مشهور مدنها عسقلان ، والرملة ، وغزة ، وأرسوف

---

(١) العصور القديمة – ص ١٥٢ مط الاميركية – بيروت .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر – لابن الأثير باب الفاء واللام .

وقيسارية . ونابلس . وأريحا . وعمان، ويافا ، وبيت جبرين ، وقيل في تحديدها : انها اول أجناد الشام من ناحية الغرب ، وطولها للراكب مسافة ثلاثة أيام اولها رفح من ناحية مصر، وآخرها اللجّون من ناحية الغور ، وزغر ديارقوم لوط . وجبال الشراة الى إيلة كله مضموم الى جند فلسطين[١].

وعند ابي الفدا ان فلسطين كورة كبيرة تشتمل على بيت المقدس وغزة : وعسقلان[٢] .

وطبيعة فلسطين الجغرافية تختلف باختلاف مواقعها ، فالجزء الاكبر من فلسطين قاحل لا ينتج شيئاً . والقسم الجنوبي منها عبارة عن قطعة من البادية تمتد شمالاً حتى القدس ، آكام جافة جديبة مؤلفة من الحجر الكلسي ، اما الأودية الواقعة في شمال البلاد فهي ذات خصب وغلال وافرة ، والبلاد برمتها لا يقع فيها المطر صيفاً . ولا سقاية فيها فكل اعتمادها على امطار الشتاء ، ولذلك كانت غلاتها دون غلات سواها من البلدان التي ترويها امطار الصيف ، ولا موانىء في فلسطين الا في الجزء الشمالي منها ، وهذه كان قد استولى عليها الفينيقيون منذ عهد بعيد فامست البلاد منفصلة عن البحر ، بعيدة عنه ، ولم تساعدها مواردها الطبيعية على التقدم المادي ولا على انشاء قوة سياسية كالبلدان المتمدنة المجاورة لها كمصر وما بين النهرين ، وسوريا ، وفينيقيا [٣].

اسم فلسطين

أما من اين جاء اسم فلسطين ففيه اخبار كثيرة واغلبها يحتاج الى دليل علمي . وهي تلفظ بكسر الفاء ثم الفتح وسكون السين وطاء مهملة وآخره

---

(١) معجم البلدان – مادة فلسطين مط صادر ودار بيروت .

(٢) اهل العلم والحكم في ريف فلسطين – احمد سامح الخالدي – وزارة الثقافة والاعلام الاردنية ص ١٧ .

(٣) العصور القديمة – جيمس هنري بريستد ص ١٥٢ مط الاميركانية ببيروت .

نون على ما اورد ياقوت وفي اعرابها اختلاف كبير عند العرب وزعموا أنها سميت بفلسطين نسبة لفلسطين بن سام بن ارم بن سام بن نوح ، وزعم الآخرون بل انها سميت باسم فلسطين بن كلثوم من ولد فلان بن نوح ، وفي كتاب ابن الفقيه على ما روى ياقوت انها سميت بفلسطين بن كسلوخيم بن صدقيا بن كنعان ابن حام بن نوح وقد نسبوا إليها فلسطيّ واستشهدوا بقول ابن هرمة .

كأس فلسطيـة معتقـــة شيبت بماء من مزنة السَبَل [١]

وتفننوا في اسباب التسمية وعزّ على نقلة مثل هذه الاخبار ان لا يكون لابن نوح الثالث (يافث) نصيب كنصيب اخويه في هذه التسمية فقالوا بل إنما سميت فلسطين نسبة لمن نزلها اول مرة وهو فلسطين ابن كيسوحين بن لقطين بن يونان بن يافث بن نوح [٢] .

واغلب الظن إن لم يكن من اليقين نظراً لبعض الدلالات التاريخية من الاثار ان شعباً من شعوب البحر المتوسط يعرف بالفلسطينيين هاجر من جزيرة (كريت) واستوطن فلسطين فسميت البلاد باسمه [٣] .

ونجد المؤرخين الذين ينسبون اسم فلسطين للشعب النازح الى هذه الارض يقولون بأنه شعب أفراده بحارة يضعون على رؤوسهم تيجاناً من الأسل مثل تيجان البحارة النورديين (الشماليين) .

وهذا الاعتمام بتاج الاسل نجده في تواريخ بعيدة وموغلة في القدم تحت مرقم نحات ومؤرخ الحضارة المصرية على جدران هيل (مدينتجو) [٤]

---

(١) معجم البلدان مادة (فلسطين) مط صادر ودار بيروت .

(٢) اهل العلم والحكم في ريف فلسطين – احمد سامح الخالدي – وزارة الثقافة الاردنية ص ١٨ .

(٣) العصور القديمة – جيمس هنري بريستد ص ١٥٦ مط الاميركانية بيروت .

(٤) اسطورة الشعب المختار – ترجمة الدكتور اكرم فاضل ص ٦ وزارة الثقافة والاعلام – بغداد .

وهذا الشعب النازح من جزيرة (كريت) كان نزوحه بعد مجيء الكنعانيين الى هذه الارض فشغل الساحل الجنوبي الغربي لفلسطين اي البقعة المحصورة من غزة الى يافا[1].

أما فلسطين قبل نزوح هذه القبائل من البحر المتوسط اليها فقد كان باسم كنعان لذلك سمي سكانها القدماء بالكنعانيين وهي جزء من ارض الشام.

---

(١) بطلان الاسس التي اقيم عليها وجود اسرائيل على الارض العربية – المحامي حسين جميل ص ١٠ وزارة الثقافة والأعلام العراقية – بغداد.

تمثالان قديمان لرأسي فلسطينيين (كريتيين) وعلى رأسيهما التاجان الخاصان بهؤلاء الاقوام.

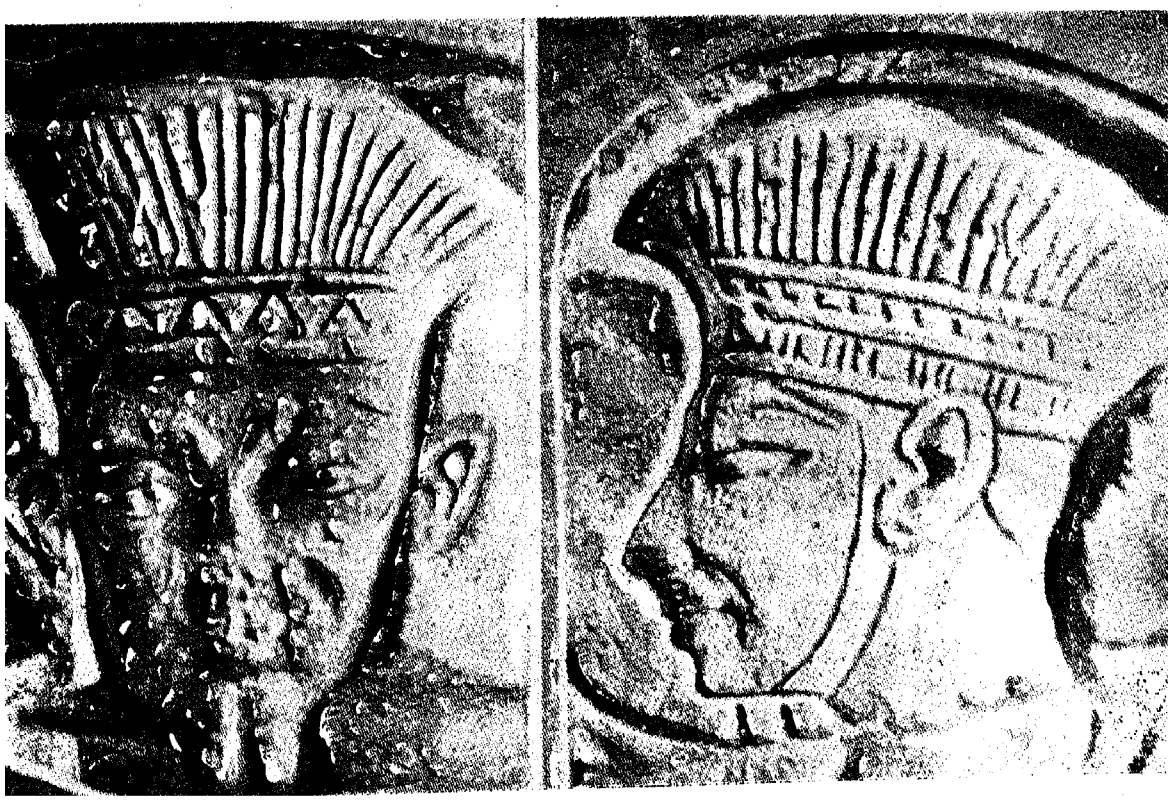

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سكان فلسطين والقدس القدماء

والوقوف على تاريخ فلسطين القديمة من ارض الشام (ارض كنعان) لا يخلو من صعوبة ومشقة لقلة المصادر العلمية من الاثار التي تحكيها الابنية ، والألواح ، والرقائم ، والنقوش ، كالتي في الاقطار المجاورة لفلسطين من تاريخ الفراعنة ، والفينيقيين ، وآشور ، وبابل تلك الاثار الغنية بالمخطوطات المنقوشة على البردي والآجر ، وفوق المعابد وكثرة ما بقي سالماً منذ القرون القديمة من الاواني والادوات ، واسباب المعيشة التي توصل العلماء الى قرائتها واستقصاء ماهيتها ، حتى تم الوقوف على كثير من أحوال السكان في تلك الاصقاع ، وبدأت الحقائق تحل محل الشكوك وتطرد الأوهام في تاريخ الكثير من الاقطار والممالك .

أما فلسطين فقد كان نصيب المؤرخين فيها قليلاً من هذه الاثار التي يمكن منها تكوين فكرة علمية كاملة عن تاريخها القديم وعلى الأخص الموغل في القدم فلم يبق باليد الا التوراة ثم الآثار التي وجدت في بابل وآشور وفي آثار الفراعنة بصورة خاصة التي جاء فيها ذكر فلسطين وحوادثها ، والا بعض ما بقي من الابار واسس الجدران والكتابات والقبور في داخل فلسطين نفسها مما لا تفي بالغرض الكامل لتعطي فكرة كاملة غير مشوبة بالشكوك والظنون .

والتوراة مشحون بالكثير من القصص والاساطير والاخبار والكثير منها

مبالغ في روايته مما لا يصلح هنا الكثير منه ان يكون مصدراً علمياً كاملاً عند المؤرخين ومع ذلك فان المؤرخين الاكاديميين يرجعون الى التوراة باعتباره أقدم مصدر باليد فيأخذون منه ما لا يتنافى مع الدراسات المنطقية على قدر الامكان ويسندونها بما يعثرون عليه من الادلة الاثرية المادية التي يحصلون عليها داخل فلسطين او خارجها مما كشفت عنه التنقيبات في آشور وبابل، وفي تاريخ الفينيقيين والفراعنة بصورة خاصة واليونان والرومان والفرس وفي اصقاع فلسطين .

وفي عقيدة الاسلام « ان العقل ركن المعتقدات الاول فما اوجبه كان واجباً ، وما احاله كان محالاً . وما أجازه كان جائزاً » وهذا ما يتفق كل الاتفاق مع منطق الباحثين من المؤرخين الاكاديميين .

أما الذي يكاد لا يتسرب الشك اليه نتيجة الدراسات العلمية هو أن اكثرية سكان فلسطين الاوائل كانوا من (الساميين) الذين نزحوا من جزيرة العرب وكان قد خيم بعض هؤلاء الساميين في البادية بين العراق والشام. فالمقيمون منهم قرب الفرات كانوا يتسربون تدريجاً الى المدن المجاورة . فمن تحضر منهم هناك خدم دولتها في الحروب او غيرها مما يحتاج الى قوة بدنية ثم لا يلبث ان يندمج في أهلها .

وكان سكان المدن يسمون أهل تلك البادية (آراميين) اي أهل الجبال ، وأهل ما بين النهرين (عمورو) او (مورو) اي أهل الغرب ، لأن بلادهم واقعة غربي الفرات .

وقد يراد با (لعمورو) أهل غربي الفرات من بدو وحضر الى البحر المتوسط ، ثم سموهم (عربي) او (عرب) ومعناها ايضاً في اللغة السامية الأصلية (الغربيون) وكانوا يسمون بلادهم (مات عربي) أي بلاد الغربيين او بلاد العرب [1] .

- (١) العرب قبل الاسلام – جرجي زيدان ص ٤٧ مط دار مكتبة الحياة – بيروت .

ويرى البعض من المحققين ان سكان ارض الشام القدماء التي تعتبر فلسطين جزءً منها كانوا يدعون (العمو و اللودانو)[١] .

ولكن التاريخ لم يستطع ان يعين لنا بالضبط متى كانت هجرة هذه القبائل من جزيرة العرب الى هذه الاصقاع والى ارض الشام خاصة إنما يمكن حصرها بين ٣٥٠٠ — ٢٥٠٠ قبل الميلا د على أغلب الظن .

ومع كل ذلك فلم تكن فلسطين حين نزح إليها الساميون غير مأهولة ، فالرجوع الى ما هو معروف لدى المؤرخين للعصور التاريخية القديمة يدل على ان البلاد كانت آهلة بالسكان وان قاطنيها الأوائل كانوا قبائل من اشباه الرّحل[٢]

ويستدل من تاريخ فلسطين انها لم تكن ابداً من نصيب شعب واحد تجمعه جامعة من جوامع القومية ، وإنما كانت في جميع الأزمنة مزيجاً من الاعراق ، ومن الهجناء والمولدين المختلطين ، وكانت زقاقاً مقفلاً من الطراز الاول تنتهي لديه موجات المهاجرين المتعبين[٣] .

وبالاضافة الى ذلك فان لموقع فلسطين الجغرافي اهمية كبرى لاسيما ما يخص الاتجار وتبادل السلع والبضائع منذ قديم الزمان وكانت فلسطين لهذه الأسباب توّلف مدينة وحضارة مزدهرة وتجمع من كل صوب ما تجمع من بدو ومن حضر يدخلها ويذوب فيها ، .

ويقول اندريه ايمار ، وجانين او بوايه ، في موسوعتهما الشهيرة : ان جوار البحر المتوسط ، وارتفاع سلاسل لبنان يطبعان بطابع خاص ا لمنطقة التي هي امتداد لصحارى البلاد العربية نحو الغرب : فكنعان في الجنوب وسوريا في

---

(١) اسرائيل بنت بريطانيا البكر — محمد علي الزعبي ، ص ٩ مط الانصاف — بيروت معتمداً على كتاب (الاسلام والمسيحية في لبنان) .

(٢) فلسطين في ضوء الحق والعدل — تأليف المحامي هنري كتن : ترجمة وديع فلسطين ط ١ منشورات مكتبة لبنان — بيروت .

(٣) اسطورة الشعب المختار — ترجمة الدكتور اكرم فاضل — وزارة الثقافة والاعلام — بغداد .

الشمال ، وتشد هذه المنطقة ، الى هذه الصحارى صلة دائمة من حيث انها تتعرض لهجمات الرياح المحرقة المفاجئة ، ومن حيث انها تستهوي البدو الرحل وقد بلغتها منهم موجات متعاقبة ، وأقامت في أقسام كبيرة منها أحياناً ، فهي لهم الارض السعيدة بفضل امطارها وانهارها ، وينابيعها : فالزراعة ممكنة فيها ، وجبالها مكسوة بالاشجار ، ثم ان الطرقات المختلفة تؤدي اليها وتمرّ فيها ، وهي المسلك الطبيعي الوحيد بين مصر وجميع بلدان الشرق الادنى ، وقد يلفظ البحر فجأة القراصنة ورائدي المغامرات ، ولكن هذا البحر نفسه طريق يؤدي الى البلدان المختلفة ، وهنالك اخيراً طرق القوافل التي تصلها باسفل الفرات وبلاد ما بين النهرين ، فهي بلاد صغيرة اذن لا حدود طبيعية لها ، ولا وحدة فيها ، ولا ادارة مركزية تجمعها ، ومفترق مستطيل قسمته طبيعة الارض الى طرائد طويلة تتجه من الشمال الى الجنوب ، وهي الى ذلك مفتوحة امام كل سيطرة وتأثير وقد طمعت فيها كل الامبراطوريات العظيمة ، والجماعات البشرية التائهة التي رغبت في ان تقتطع فيها لنفسها مكاناً (١)

ومع كل ذلك المزيج والاختلاط من مختلف الشعوب العابرة والمستوطنة فان الطابع العام لسكان ارض كنعان (فلسطين) طابع سامي ، وقد تأثر بمختلف الحضارات فكانت له طبيعة ذات لون حضاري مكتسب من العراق ، ومن مصر ، وبلدان البحر الابيض المتوسط .

يقول جيمس هنري بريستد : ان اتجار فلسطين مع بابل علم الساميين الغربيين ــ اي سكان فلسطين ــ الكتابة المسمارية ، وكانت فلسطين مدخل الجسر الواقع بين آسيا وافريقيا ، فامتزجت فيها مدنيات مصر ، وبابل ، وفينيقية ، وبلاد إيجه ، وآسيا الصغرى باسلوب لا مثيل له في الشرق القديم .

وكانت السلع التجارية هي عنوان تلك المدنيات ، ودليل تغلغلها في الوسط الفلسطيني ، ولأن موقعها بين جارتيها القويتين : مصر والعراق جعلها معتركاً

---

(١) تاريخ الحضارات العام ــ ج ١ ص ٢٥٥ ــ منشورات عويدات بيروت .

حربياً قروناً عدة ، فقد استولت عليها مصر مئات السنين وبعد ذلك استولت عليها آشور ، ثم تسلط عليها الكلدان ، وآخر الكل بسط يده عليها الفرس . وحين آل امرها الى العبرانيين لم يؤملوا ان يبقوا امداً طويلاً احراراً من الضغط الخارجي [١] ثم انتزعها الرومان واستولى عليها المسلمون العرب ، وقد ترك كل قوم فيها شيئاً من آثارهم خيراً كان أو شراً ، ليس في عهودها الاخيرة وانما في جميع عهودها القديمة .

الكنعانيون

وكان الكنعانيون اول شعب تميز عنصره وعرف نجاده بعد تلك القبائل السامية وما قبلها من سكان فلسطين الذين لا يعرف التاريخ عنهم شيئاً كثيراً والكنعانيون كما يقول رواة الاخبار ساميون واصلهم من اولاد (لاود) ابن سام ومن سلالة (عمليق) وهو ابو العماليق ومنهم كانت الجبابرة بالشام [٢] وكانت طسم ، والعماليق ، وأميم ، وجاشم ، وكانوا عرباً ، ولسانهم كان عربياً ، وهم اول من عرفهم التاريخ بعد السكان الذين كانوا يدعون با (لعمووا اللودانو) .

وفي نحو ألفي سنة قبل الميلاد شرع الكنعانيون يستوطنون السهول والبقاع الساحلية ، فانشأوا مدناً وقرى . واخذوا يعنون بتنمية ثقافتهم الخاصة ، وقد روت التوراة ان البلاد كانت تسمى (ارض كنعان) على ما ورد في سفر (العدد) ٣٤ : ١ و٣٥ : ١٠ . او بلاد الكنعانيين على ما ورد في سفر (الخروج) ٣ : ١٧ [٣] .

---

(١) العصور القديمة – ترجمة داود قربان ص ١٥٥ مط الاميركانية – بيروت .
(٢) الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٧٨ مط صادر ودار بيروت – بيروت .
(٣) فلسطين في ضوء الحق والعدل – تأليف المحامي هنري كتن – ترجمة وديع فلسطين ط ١ منشورات مكتبة الحياة – بيروت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقيل انما عرف الكنعانيون بهذا الاسم فلنسبتهم للارض التي سكنوها والمعروفة باسم (ارض كنعان) اي الارض الواطئة[١] .

وهناك من يذهب الى ان نزول الكنعانيين بارض فلسطين كان قبل اكثر من ٣٠٠٠ سنة ، ويقول محمد علي الزعبي : واذا علمنا ان (نرام سين) الملك الاشوري غزا فلسطين في القرن الثامن والثلاثين قبل الميلاد فناوأته حكومتها العربية تحققنا أن العرب الكنعانيين هم اهل فلسطين منذ قرون لا نستطيع تحديدها[٢] .

وما قيل عن حضارة الكنعانيين وكونها عصارة عدد من الحضارات قد قيل في ديانة الكنعانيين ، فديانتهم كانت مزيجاً من تأثيرات مختلفة اذ كانت ملتقى دينياً لمختلف الشعوب كما كانت ملتقى تجارياً .

العبرانيون

والعبرانيون ساميون نشأوا في الجزيرة وانتشروا كقبائل رحل بخيلهم ومواشيهم ، وكانت حياتهم حياة بداوة مطلقة ليس لها بالحضارة صلة او نسب ، ولا يعرف التاريخ كيف ومتى حل بعض هذه القبائل ارض مصر

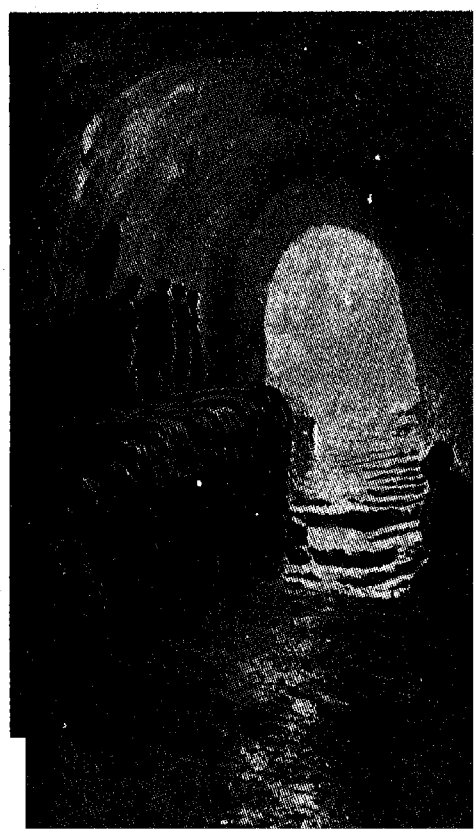

طريقة سحب المياه من الانفاق في عهد الكنعانيين

---

(١) بطلان الاسس التي اقيم عليها وجود اسرائيل على الارض العربية – تاليف المحامي حسين جميل – وزارة الثقافة والاعلام – بغداد ص ١٠ .

(٢) اسرائيل بنت بريطانيا البكر ص ٩ مط الانصاف – بيروت معتمداً على كتاب (الاسلام والمسيحية في لبنان).

وكل ما عرف هو انهم عاشوا فترة من الزمن مستعبدين للطواغيت من الفراعنة ، وانهم لقوا في مصر الشيء الكثير من الاضطهاد حتى تسنى لهم ظهور النبي موسى فخرج بهم من مصر الى فلسطين .

وكان اول غزو العبرانيين لارض كنعان في نحو القرن الثاني عشر ق.م ، وحين دخل العبرانيون ارض كنعان وجدوا هناك حضارة ونظاماً وحياة لم يألفوها من قبل ، وكان الكنعانيون يقيمون في مدن آهلة بسكان يسودهم من النظام والاساليب ما يضمن لهم حياة سعيدة ، وكانت اغلب المدن الكنعانية مسورة بأسوار منيعة ليس من السهل الاستيلاء عليها ، وكانت حضارة الكنعانيين قديمة نشأت منذ الف وخمسماية سنة [١] من ظهور العبرانيين لذلك كانت المدن الكنعانية وعلى الاخص القدس (اورشليم) تهزأ بحملات العبرانيين ، ولهذا ظلت السيطرة على (القدس) نحو بضعة قرون غير تامة وليس القدس وحدها التي كانت تهزأ بحملات العبرانيين وانما الكثير من بقاع فلسطين وحتى السهول قد عجز العبرانيون عن السيطرة عليها وانتزاعها من يد الكنعانيين ، فلم يحدث قط ان اذعن الفلسطينيون للغزاة اذعاناً كاملاً اذ انهم استبقوا سيطرتهم مفروضة على سهولهم الساحلية الواقعة على طول البحر المتوسط [٢] .

ويقول بريستد : ولا يخفى ان هذه المدن التي عجز مهاجموها من العبرانيين عن افتتاحها كانت ذات حضارة قديمة ومنازل متقنة ، فيها كثير من اسباب الراحة ، وحكومة ، وصناعة ، وتجارة ، وعلم ، ومعرفة بالكتابة ، وديانة حضارية اقتبسها اخيراً العبرانيون من مواطنيهم لان العبرانيين لم يستطيعوا ان يعيشوا

---

(١) العصور القديمة – جيمس هنري بريستد – ترجمة داود قربان ص ١٥٥ مط الاميركية .

(٢) فلسطين في ضوء الحق والعدل – تاليف المحامي هنري كتن – ترجمة وديع فلسطين ط ، ١ منشورات مكتبة لبنان – بيروت ص ٣ .

بمعزل عن اهل المدن الكنعانية التي عجزوا عن افتتاحها ، لان الصناعة والتجارة كانت رابطاً قوياً بينهم ، وقد احدث هذا الامتزاج تغييرات جوهرية في حياة العبرانيين واخراجهم من سكنى الخيام الى سكنى الدور والبيوت العامرة ، والباسهم الالبسة الزاهية حتى لم يعد بعد زمن تفريق الكنعانيين عن العبرانيين من حيث المظهر والعادات والمدنية سهلاً خصوصاً بعد امتزاج الكنعانيين بالعبرانيين بالزواج واختلاط الدم[1] .

ومرّ بعض الزمن دبّ فيه الضعف في حكام مصر فظهر اثر التأخر والانحطاط ، عليهم جلياً وذلك في نحو ١١٠٠ قبل الميلاد وكانت آشور حينذاك بمعزل عن التفكير في غزو الاقطار الغربية فكان ذلك وجهاً من وجوه حسن الحظ للعبرانيين اذ اتيحت الفرصة المناسبة لوقوع الحرب بين العبرانيين والكنعانيين استولى فيها العبرانيون على ممتلكات الكنعانيين ، ثم ظهر النبي داود ومن بعده سليمان فتمت السيطرة حينذاك للعبرانيين على القدس وسائر البقاع في تفاصيل يتحدث بها ويعللها التاريخ .

ودامت مملكة العبرانيين نحو قرنين ثم انقسمت الى مملكة اسرائيل في الشمال ، ومملكة يهودا في الجنوب ، وبتسمية هذا الاخير عرف اليهود وانتسبوا له .

الآشوريون

ونشب النزاع بين الاشوريين والمصريين في نحو سنة ٧٣٣ — ٧٢١ ق.م نظراً لكونهما القوتين العظيمتين المسيطرتين على واديين من اخصب اودية الدنيا عطاء وأوفرها حضارة فالآشوريون في وادي الرافدين ، والمصريون في وادي النيل فكان من مصلحة العبرانيين (الاسرائيليين) الانحياز الى المصريين على ما قدرت سياستهم واقتضى قربهم لمصر اكثر من قربهم للعراق ، فنقم

---

(١) العصور القديمة — جيمس بريستد — ص ١٥٥ مط الاميركانية .

عليهم الاشوريون واعدوا العدة لغزوهم في فلسطين والاستيلاء على حاضرتهم اورشليم (القدس) ، وكان على رأس الحملة التي جردت لغزو فلسطين الملك (سنحاريب) ملك اشور فانهار امامه العبرانيون ، وحاصر القدس وفتحها ، وسبا اليهود وفرض عليهم شروطاً قاسية وجزية كبيرة حتى اضطر اليهود الى قشر الذهب عن ابواب الهيكل وجدرانه وتسليمه للاشوريين[١]

وقد عاد الاشوريون الى بلادهم بعد ان كاد الطاعون يقضي عليهم ، ثم رجعوا بعد ذلك فاحتلوا فلسطين ودخلوا اورشليم واسروا ملكها (منسه) وسفّروه الى بابل وذلك في نحو سنة (٦٧٨ ق.م)[٢] ثم اطلقوه بعد ذلك ورجع الى (اورشليم) وبنى سورها من جديد ، ثم ضعف شأن الاشوريين بعد ذلك وتخلوا عن البلاد .

الكلدانيون

واعقب الكلدانيون الاشوريين في السيادة على بابل وصار لهم شأن كبير وكان التنافس بينهم وبين المصريين مثلما كان على عهد الاشوريين ، ومرة اخرى انحاز الاسرائيليون الى المصريين بداعي المصلحة فجرد ملك الكلدانيين (نبوخذنصر) حملة كبيرة وقام بمهاجمة (اورشليم) واستولى عليها في نحو عام (٥٨٧ ق.م)[٣] ، وقد قتل من اليهود خلقاً كثيراً ، وساق الكثير منهم أسرى الى بابل وعلى رأس الأسرى ملك اليهود (يهوياكين) وهدم اسوار المدينة وقلاعها وهيكلها ، وهكذا تم انقراض العبرانيين نهائياً كدولة ذات استيطان ، وذلك في نحو (٥٦٨ ق.م) على ما يعين بعض المؤرخين .

---

(١) الطريق الى فلسطين – محمد عنان ص ١٦٤ مط دار الكتب بيروت – ط ١ .

(٢) لقاء عند بوابة مندلبوم – احمد فوزي عبد الجبار ص ٢٣ – وزارة الثقافة والارشاد العراقية مط دار الجمهورية – بغداد .

(٣) الطريق الى فلسطين – محمد عنان ص ١٦٥ مط دار الكتب – بيروت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عهد الفرس

وحين قضى الفرس على الكلدانيين واستولوا على بلاد بين النهرين وكان قد مرّ على تدمير القدس وسبي اليهود نحو سبعين سنة أعاد ملك الفرس (كورش) اليهود من سبيهم الى اورشليم التي كان قد استولى عليها ، فاعاد اليهود بناء الهيكل من جديد ، كما قاموا ببناء الاسوار حول اورشليم بأمر من ملك الفرس (دارا) ولكن اليهود لم يستطيعوا أن يستعيدوا سلطتهم، ولا شيئاً من نفوذهم السابق ، اذ كانت دولتهم قد دالت في الثلث الاخير من القرن السادس قبل الميلاد ، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة .

العهد اليوناني

واكتسح اليونانيون الفرس في عهد الاسكندر ودخلت مصر ومعظم بلاد الشرق تحت نفوذ اليونانيين في عصر الاسكندر ولما مات الاسكندر وتم اقتسام البلاد من قبل قواده كانت فلسطين من نصيب البطالسة ، وحاول اليهود مقاومة بطليموس الاول وعصوا عليه في (اورشليم) فساق بطليموس عليهم جيوشه وفتح المدينة ونكّل باليهود وارسل منهم نحو ماية الف اسير الى مصر وكان ذلك في نحو (٣٢٠ ق.م)

وفي سنة ١٦٨ ق.م استولى على (اورشليم) انطيوخوس الرابع ملك السلوقيين ، فتمرد اليهود من جديد على حكمه واستطاعوا بمساعدة (المكابيين) في شمال البلاد من استعادة اورشليم التي بقيت في حوزتهم حتى عام ٦٣ ق.م[1]

الحكم الروماني

وفي أعام ٦٣ ق.م استولى الرومان تحت قيادة (بومبيوس) على مدينة القدس وهدموها ، ولكن اليهود ناووه وتمردوا عليه فنكّل بهم وألغـــى

---

(١) المصدر المتقدم .

(مجمعهم) وهدّم سور المدينة ثم جاء الحاكم (هيرودس) فاتخذ من اورشليم عاصمة له ؛ وقد عرف باهتمامه في الانشاء والتعمير لذلك ما لبث ان اعاد بناء المدينة من جديد واقام السور وانشأ العمارات . وتم له ان يقيم ثلاثة حصون فخمة ؛ وكان من اهم ما ذكر من تعميره وانشائه هو قيامه ببناء (الهيكل) واحيائه من جديد ؛ وبناء القلعة الكائنة بباب الخليل ؛ واجرى الماء في القنوات وترك اثاراً كثيرة في القدس ؛ وقد ولد المسيح في آخر سنة من سني حكم (هيرودس) الذي نصبته روما ملكاً على اورشليم .

وقد كشف عالم آثار اسرائيلي النقاب اليوم عن اكتشاف مدينة عمرها (٢٠٠٠) ألفي سنة تحت مدينة القدس القديمة . وقد وصفت الحفريات التي قام بها الأثري المذكور بأنها اول محاولة لاكتشاف قدس ما قبل العهد

بقايا قصر الملك هيرودوس الكبير في السامرة

الميلادي ، اي المدينة التي اختفت عندما دمّر الرومان هيكل هيرودس عام ٧٠ ق.م.[١] .

وفي عام ٦٦ ب.م تمرد اليهود على الحكم الروماني فجرد (تيطس) حملة على المدينة وذلك في عام ٨٠ ب.م واستولى على (اورشليم) واحرقها عن آخرها ، ودمّر الهيكل . وشرد اليهود في ارجاء المعمورة .

ثم عاد الرومان فاحيوا المدينة من جديد وعمروها وجعلوا منها مدينة وثنية في عهد الامبراطور الروماني (هادريان) .

العهد المسيحي

وحين انتشرت المسيحية واعتنق الرومان ديانتها واصبحت المسيحية ديانة الدولة الرسمية وذلك في ٣٢٥ ب.م اعيدت المدينة الى سابق عهدها من البناء وزالت الانصاب الوثنية .

وفي عام ٦١٤ ب.م غزا الاكاسرة من الفرس ممالك الرومان واستولوا على فلسطين واحتلوا حاضرتها (اورشليم) وفتكوا بسكانها وهدموا كنيسة القيامة ثم استطاع امبراطور الرومان (هرقل) من مهاجمة الفرس وانتصاره عليهم ، واستعادة فلسطين منهم .

وفي عهد المسيحية تجددت الشعائر الدينية فبنى الامبراطور قسطنطين الاول كنيسة القبر المقدس . وأنشأت امّه كنيستين . هما كنيسة الميلاد في بيت لحم . وكنيسة القيامة في القدس . وبدأت فلسطين تجتذب وفود الحجيج المسيحيين . كما اصبحت مركزاً لحياة النساك والانخراط في سلك الرهبنة[٢] .

---

(١) جريدة الحياة البيروتية العدد ٧٣٧٠ في ٢٤ شباط ١٩٧٠ .

(٢) فلسطين في ضوء الحق والعدل – تأليف المحامي هنري كتن – ترجمة وديع فلسطين ص ٣ مكتبة لبنان ط ١ بيروت .

العهد الاسلامي

وفي سنة ١٥ للهجرة وقبيـــل ١٦ للهجرة اي فيما يتفق وسنة ٦٣٦ للميلاد تم احتلال فلسطين من قبل جيوش المسلمين العرب ودخلوا (القدس) بعهد شريف عهد به الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لاهل ايلياء اي (القدس) الذي سيأتي ذكره فيما بعد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأرض المقدسة

والتاريخ الاسلامي يعنى عناية خاصة بالارض المقدسة ويعتبر تقديسها ركناً من اركان معتقداته لانها موطن الانبياء وموضع ظهور نبوتهم ودعوتهم الى التوحيد ، والصلاح ، ونشر الخير وسائر المبادىء التي ايدها الاسلام واتم الدعوة لها وختم بها النبوّة ، واختلف مورخو الاسلام في تحديد هذه (الارض المقدسة) ولكنهم اتفقوا جميعاً على ان حاضرة هذه الارض هي مدينة القدس ، عاصمة تلك الدعوات المتتالية التي بشر بها الانبياء ، ولذلك كانت القدس اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين عند المسلمين .

ولقد حدد القاضي مجير الدين الحنبلي الارض المقدسة ، فقال :

تحدها من القبلة : ارض الحجاز ، وتفصل بينهما جبال الشورى (الشراة) ومن الشرق من بعد دومة الجندل برية السماوة الممتدة الى العراق ، ومن الشمال مما يلي الشرق نهر الفرات ، ومن الغرب بحر الروم ، ومن الجنوب رمل مصر والعريش ، ثم يليه تيه بني اسرائيل وطورسيناء .

ومن هذا التحديد يستخلص ان الارض المشمولة بالقدسية لنزول الانبياء فيها وبث دعوتهم بها ، واتخاذها مدفناً لهم هي ارض واسعة شاسعة لا تقتصر على العاصمة (القدس) وضواحيها واطرافها وانما تشمل اغلب المدن التي يشملها اسم فلسطين ان لم تكن كل مدنها بموجب هذا التحديد .

ويحدد القاضي مجير الدين الحنبلي وهو من ابناء القرن التاسع (القدس) . في ذلك القرن بقوله :

اما الحدود المنسوبة لبيت المقدس عرفاً مما يلي القبلة ويطلق عليه (عمل القدس الشريف) ويسوغ لقضاة القدس الحكم فيه فمن القبلة (عمل الخليل) ومن الشرق : نهر الاردن ، ومن الشمال : مدينة نابلس ، ومن الغرب : الى ما يقارب مدينة غزة [1]

وتستخلص عقيدة الاسلام بقدسية الارض المقدسة من التوراة والانجيل والقرآن الكريم ومما روى الخلفاء والصحابة والأئمة ، ولمكانة هذه الارض وعلى الاخص (القدس) التي سيأتي الحديث عن مكانتها في الاسلام وفي عقيدته جازت المبالغات والاساطير في الروايات ، واستسيغ ما لم يستسغ في نقل الرواية والاحاديث سواء عن تلك التربة المقدسة او ساكنيها او الانبياء الذين بشروا بالدين والصلاح ، والخير فيها ، اما الشيء الذي لا جدال فيه فهو ان الاسلام يعتبر فلسطين وحاضرته القدس ركناً من اركان معتقداته التي تستلزم تقديسها بصفتها مهبط الانبياء الذين نزلوا في فلسطين وايمان الاسلام بما جاء به هؤلاء الانبياء ايماناً مطلقاً بصفتهم رسل الله وأنبياءه المبشرين بالحق .

لقد جاء في الروايات انه سئل رسول الله (ص) عن اكرم الناس قال : اتقاهم لله ، فقالوا ليس عن هذا نسألك ، قال فاكرم النـــاس يوسف الصديق فانه نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله ، فهؤلاء الاربعة وهم : ابراهيم الخليل وولده اسحاق ، وولده يعقوب ، وولده يوسف ، قبورهم في فلسطين وفي محل واحد ، وعليهم من الوقار والجلال ما لا يكاد يوصف ، والمقصود بالكرم هنا هو النقاء والطيب وما شاكل كما يشمل السخاء والجود وقد عرف بهما ابراهيم الخليل بصورة خاصة بين اقدم الانبياء .

---

(١) اهل العلم والحكم في ريف فلسطين – احمد سامح الخالدي – وزارة الثقافة والاعلام الاردنية – عمان .

والى جانب هولاء الانبياء قد دفنت زوجاتهم المعروفات بالصلاح عند الاسلام ، وقد دفن هولاء الانبياء وزوجاتهم في مغارة ذكر خبرها الرواة من المسلمين ومن غير المسلمين من اهل الكتاب .

وروى الطبري ان سارة زوجة ابراهيم قد ماتت على ما قيل بقرية الجبابرة من ارض كنعان في حبرون فدفنت في مزرعة اشتراها ابراهيم[١] وقد دفن ابراهيم في هذه المزرعة ايضاً .

فأول من دفن اذن في هذه المغارة كانت سارة زوجة ابراهيم ثم دفن فيها ابراهيم الخليل ، ثم ريقة زوجة اسحاق ، ثم اسحاق ، وقد مات اسحاق بالشام ودفن عند ابيه ابراهيم[٢] ثم دفن بعده في المغارة يعقوب ، وتقول الاخبار ان يعقوب هذا هو المعروف باسرائيل ، وتزعم انه هرب خوفاً من اخيه عيص (عيسو) الى خاله ، وكان يسري بالليل ويكمن بالنهار فلذلك سمي (اسرائيل) ! وكان قد نزل الشام ومات ودفن عند قبر ابيه وجده [٣] ثم دفنت (ليقا) او (ليعا) زوجة يعقوب ويقال لها (ايليا) ايضاً .

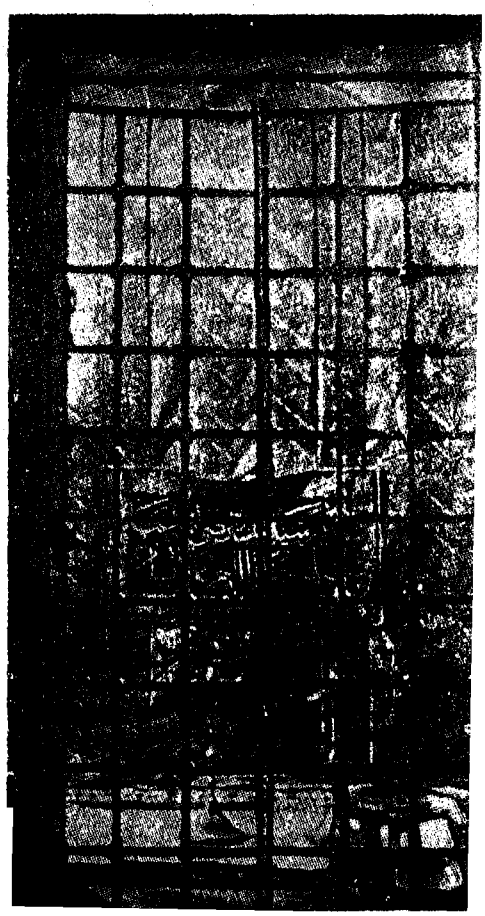

احد مداخل مدفن النبي ابراهيم وساره واسحق وريتة ويعقوب وليقا في حبرون (الخليل)

---

(١) تاريخ الامم والملوك – الطبري ج ١ ص ٢١٦ مط الاستقامة .

(٢) الكامل لابن الاثير ج ١ ص ١٢٧ مط صادر ودار بيروت – بيروت .

(٣) المصدر المتقدم .

واغلقت المغارة دون الآخرين من اولاد يعقوب والعيص (عيسو) واخوته ، ثم علّم من الخارج على كل قبر برمز يشير الى قبر كل واحـــد وبقيت المغارة مغلقة دون ان يصل اليها احد حتى جاء الروم فاقاموا كنيسة هناك، واصبحت هذه القبور مزاراً .

وحين جاء الاسلام هدّم المسلمون تلك الكنيسة [1] وشادوا محلها هذا الضريح الذي يقوم اليوم على ما شيد المسلمون في (الخليل) من قبل وقد جرى فيه تجديد وتعمير في كل فترة من الزمن .

وكانت مدينة (الخليل) تسمى (حبرون) قبل دفن الخليل فيها ، وقيل في وصفها انها قرية بالبيت المقدس ، ويقال لها حبرى أيضاً ، وروي عن كعب الحبر على ما ذكر ياقوت الحموي ان اول من مات ودفن في حبرى كانت سارة زوجة ابراهيم ، وان ابراهيم خرج يطلب موضعاً لقبرها فقدم على (صفوان) وكان على دينه وكان مسكنه ناحية (حبرى) فاشترى الموضع منه بخمسين درهماً ، فدفن فيه سارة ، ثم دفنه ودفن اولاده بعده وبنى سليمان حول هذه القبور حيراً ، ثم اضاف ياقوت قول الرواة على اختلاف رواياتهم والمورخين في اخبارهم فقال اعتماداً على رواية العقيدة لا التاريخ بأن في هذه المغارة قبر ابينا آدم كذلك ! ! وخلف هذا الحير الذي اقامه سليمان قيل ان هناك قبر يوسف الصديق جاء به موسى من مصر وكان مدفوناً في وسط النيل فدفن عند آبائه ، وعن يعقوب رويت مثل هذه الرواية فقيل ان يعقوب قد مات بمصر فنقل يوسف جثمانه ودفنه حيث أبيه اسحق ،

وروى ياقوت بعد ذلك ان تميم الداري قدم على رسول الله ومعه قومه وسأله ان يقطعه (حبرون) فاجابه وكتب له كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى محمد رسول الله (ص) لتميم

---

(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل – تأليف القاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ٤١ .

الداري واصحابه ، اني أعطيتكم بيت عينون وحبرون ، والمرطوم ، وبيت ابراهيم بذمتهم وجميع ما فيهم ، عطية بتّ ، ونفّذت ، وسلّمت ذلك لهم ولاعقابهم بعدهم ابد الآبدين ، فمن آذاهم فيه آذى الله » شهد بذلك ابو بكر ابن ابي قحافة ، وعمر ، وعثمان ، وعلي بن ابي طالب »[1] .

ولا حاجة للتدليل على ضعف هذه الرواية ، لأن حبرون يومذاك لم تزل بيد الروم ، ولم يستول الاسلام عليها بعد فكيف يمكن قطعها لتميم الداري؟ ولأن الشهود قد جاء ترتيبهم كما لو كانوا خلفاء بعد رسول الله ، فكيف وقعت هذه المصادفة ؟

والمؤكد ان هذه القبور قد عين محلها قبل ظهور الاسلام بزمن بعيد ، وقد قدست من قبل اليهود ، والمسيحيين ، وعني بها الرومان في ايام حكمهم عناية كبيرة بالاضافة الى عنايتهم ببيت المقدس .

ومما يذكر عن قدم معرفة الناس بهذه القبور ما روي عن محمد بن بكران ابن محمد خطيب مسجد الخليل في اوائل القرن الرابع الهجري قال سمعت محمد بن اسحاق النحوي يقول : خرجت مع القاضي ابي عمرو عثمان بن جعفر بن شاذان الى قبر ابراهيم الخليل عليه السلام فاقمنا به ثلاثة ايام ، فلما كان في اليوم الرابع جاء الى النقش المقابل لقبر (ريقة) زوجة اسحق عليه السلام فأمر بغسله حتى ظهرت كتابته . وتقدم الي بان أنقل ما هو مكتوب في الحجر الى درج كان معنا على التمثيل (اي رسمه على الورق كما هو) فنقلته ، ورجعنا الى الرملة فاحضر اهل كل لسان ليقرأه عليه فلم يكن فيهم أحد يقرؤه . ولكنهم اجمعوا على ان هذا بلسان اليوناني القديم ، وانهم لا يعلمون انه بقي احد يقرؤه غير شيخ كبير (بحلب) فعمدوا إلى احضاره ، فلما حضر عنده أحضرني فاذا هو شيخ كبير ، فأملى علي الشيخ المحضّر من حلب ما نقلته في الدرج على التمثيل اوله :

---

(١) معجم البلدان – مادة حبرون – مط دار صادر ودار بيروت – بيروت .

بسم إلهي إله العرش القاهر الهادي الشديد البطش العليم الذي لا يحد ، هذا قبر ابراهيم الخليل ، والعلم الذي بحذائه من جهة الشرق قبر زوجته ساره والعلم الاقصى الموازي لقبر ابراهيم الخليل قبر يعقوب . والعلم الذي يليه من الشرق قبر اليا (ليقا) — وفي معجم البلدان (ليعا) زوجة يعقوب وقد كتبه العيص (عيسو) بخطه ![1] والعيص هو اخو يعقوب ومنافسه . واكتسب البناء المنسوب لسليمان المحيط بقبر ابراهيم صفة المسجد واطلق البعض على ضريح ابراهيم صفة الحرم فسموه حرماً .

ولفضيلة هولاء الانبياء وابيهم ابراهيم الخليل عند الاسلام مراسيم وآداب خاصة يقوم بها المسلمون ، وادعية وصلوات ، وقد وردت نصوص قديمة لما يستحب ان يقوله الزائر ويدعو به في مقام ابراهيم .

وجاء في كتاب (الانس الجليل) ان كل ما ذكره العلماء رضي الله تعالى عنهم في مناسكهم من آداب الزيارة في حق النبي صلى الله عليه وآله فهو سائغ في حق خليل الله ابراهيم .

ولم يقتصر التقديس عند الإسلام على المدفونين في هذه المغارة بل ان القرآن الكريم تناول عدداً غير قليل من هؤلاء الانبياء الذين ضمتهم فلسطين قاطبة والقدس بصورة خاصة نورد هنا بعض ما ورد عن بعض هولاء في نصوص القرآن الكريم توضيحاً للاسباب التي جعلت المسلمين يطلقون على فلسطين اسم (الارض المقدسة) وجعلت لهذه الارض تلك المكانة المقدسة في نظر الاسلام وعقيدته بالنظر لمكانة هولاء الرسل والانبياء عند الله تعالى والتي يشير اليها القرآن الكريم كتاب الله ودستور المسلمين .

ابراهيم الخليل

قال الله جل وعلا في محكم كتابه عن ابراهيم الخليل :

---

(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل — للقاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ٤٢ — ٤٣ .

« سلامٌ على إبراهيم ، كذلك نجزي المُحسنين ، إنّه من عبادنا المؤمنين »

وقال « ولقد آتينا ابراهيمَ رشده من قبلُ وكنّا به عالمين »

وفي آية اخرى جاء « واذكرْ في الكتابِ إبراهيمَ إنّه كانَ صدّيقاً نبيّاً »

وفي آية اخرى « وتلك حُجّتنا آتيناها ابراهيمَ على قومه نرفعُ درجاتٍ من نشاء إنّ ربّك حكيمٌ عليم » .

وفي سورة الصافات جاء « وإنّ من شيعته لأبراهيمَ اذ جاءَ ربّه بقلبٍ سليم » .

وجاء في آية اخرى « قل إنني هداني ربّي الى صراطٍ مستقيم دِيناً قيّماً ملّة ابراهيمَ حنيفاً وما كانَ من المشركين » .

وقال : « إن ابراهيمَ كانَ أمّةً قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين شاكراً لأنعمه اجتبـــاه وهداه الى صراطٍ مستقيم ، وآتيناه في الدنيا حسنةً وانه في الآخرةِ لمن الصالحين » .

وقد جاء ذكر ابراهيم في القرآن الكريم ٦٣ مرة ، فهو ابو الانبياء ومن اوائل المبشرين بالله ووحدانيته وهو الى جانب ذلك قد لقي من الاذى والعذاب في محاربته للاصنام وتثبيت الدعوة الى وجود الله ما لقي في سبيله ، وهو بعد ذلك من السخاء واكرام الضيف والشهامة ما تحدثت به الكتب .

يقول عبد الوهاب النجار : ان ابراهيم كان مضيافاً ولا يرضى لاضيافه بما يقيم اودهم ، بل كان يكثر لهم من القرى ، لأن ثلاثة أضياف لا يقدرون على التهام عجل سمين ، بل هو يفضل عنهم وكان يكفيهم عناق صغير (المعزى الصغيرة دون السنة من العمر) او بعض الفطير يقدم اليهم ، ولكنه اظهر حفاوة هونت عليه ان يبذل من ماله كل كريم ولا يفعل ذلك الا الكريم .

ويقول : وها اناذا استطرد لكم حكاية قرأتها في بعض الكتب العبرية الادبية وهي ان ابراهيم نظر الى البرّيّة يوماً فرأى رجلاً قد بلغ من الكبر عتيا يمشي وفي

يده عكازته ، فقام واستقبله واضافه وقدم له طعاماً فلما طعم الرجل مع ابراهيم قال ابراهيم : هلمّ نشكر الله الذي اطعمنا ورزقنا هذه النعم ، ولكن الرجل أبى وقال : لا أعرف الله الذي تقوله ، وانما اشكر إلهي الذي في بيتي — يعني صنمه — فغضب ابراهيم وطرد الرجل ، فلما ولى الرجل عنه رجع ابراهيم باللائمة على نفسه قائلاً :

ان الله سبحانه قد خلق هذا الشيخ وحباه بجلائل النعم وأطال عمره وقد مضى عليه الآن مائة سنة يكفر بالله ويجحده ولا يؤدي شكر شيء من نعمه عليه ، ومع اصراره على الكفر وتماديه في الضلال لم يقطع الله عنه نعمة من نعمه المتواصلة ، وأنا لأني أطعمته مرة واحدة وخالف مشورتي في عباد الله اطرده ، وأسف لذلك أسفاً شديداً (١)

لوط

ولوط هو ابن اخي ابراهيم ، آمن بعمه وبشّر بدينه وفي ذلك تقول الآية الشريفة :

« فآمنَ لوطٌ وقال إني مهاجرٌ الى ربّي » .

وهاجر مع عمه ابراهيم فجاءت الآية الكريمة :

« ونجّيناه ولوطاً الى الارضِ التي باركنا فيها للعالمين » .

وفي سورة الشعراء « كذّبت قوم لوطٍ المرسلين ، إذ قالَ لهم أخوهم لوطٌ ألا تتقون ، إني لكم رسولٌ أمين ، فاتقوا الله وأطيعون » وما أسألكم عليهِ من أجرٍ إن أجريَ الا على ربّ العالمين » .

وفي آية اخرى وقد قال لوط بعد أن رأى إسراف قومه في المنكر :

« ربّ نجّني وأهلي مما يعملون ، فنجيناه وأهله اجمعين »

---

(١) قصص الانبياء — عبدالوهاب النجار ط ٣ ص ١١٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجاء في سورة التحريم : « ضربَ اللهُ مثلاً للذين كفروا امرأةَ نوحٍ وامرأة لوطٍ كانتا تحت عبدينِ من عبادِنا صالحين .. الخ »

وورد ذكر لوط في ٢٧ موضعاً من القرآن الكريم .

وكان لوط قد نزل سادوم وعامورة في الاردن بعد ان فارق عمه ليبشر وينذر ، وكان قومه يأتون المنكر كما يصف القرآن الكريم ويشرح المفسرون ، ولم تفد معهم مواعظ لوط وارشاده ، فنزل عليه ذات يوم ثلاثة من الملائكة ضيوفاً وهو لا يعلم انهم من الملائكة كما تقول التفاسير ، لقد نزلوا عليه لكي ينزلوا على قومه العذاب ، فتعرض بهم قوم لوطٍ وطلبوا من لوط تسليمهم ضيوفه ليفسقوا بهم فقال لهم :

« ... يا قوم هولاء بناتي هنّ أطهرُ لكم فاتقوا اللهَ ولا تخزونِ في ضَيفي ، أليسَ منكم رجلٌ رشيد » .

وهناك كشف الملائكة عن انفسهم و

« قالوا يا لوطُ إنّا رسلُ رَبّك لن يصلوا اليكَ فأسرِ بأهلِك بِقطعٍ من الليل .. الخ » .

وفي عرض لوط بناته على القوم في سبيل حفظ كرامة ضيوفه صورة من اروع صور السخاء والنبل والشهامة والايمـــان ، وكانت هذه الصفة من اجلى واحلى مـــا اتصف به لوط بين الانبياء .

اسحق ويعقوب

ومن انبياء الارض المقدسة كان اسحاق وكان ابنه يعقوب ، وقد خصهما الله في كتابه العزيز بالتعزيز فورد ذكر اسحق ١٦ مرة في القرآن الكريم ، وورد ذكر يعقوب ١٠ مرات فضلاً عن سرد قصتهما . فقد جاء في القرآن الكريم :

« وبشّرناه باسحقَ نبياً من الصالحين — اي بشرنا إبراهيم — وباركنا

عليهِ وعلى اسحقَ ومِن ذرّيتهما مُحسنٌ وظالمٌ لنفسِه مُبين » .

وقوله تعالى عن سارة « فبشرناها باسحاقَ ومِن وراءِ اسحاقَ يعقوب »

وجاء في قوله تعالى لابراهيم :

« وَوَهبنا له اسحقَ ويعقوبَ كلاّ هَدينا »

ثم قوله تعالى لابراهيم ايضاً :

« ووهبنا له اسحقَ ويعقوبَ وكلاّ جعلنا نبيّا ، وَوَهبنا لهم من رحمتِنا وجعلنا لهم لسانَ صدقٍ عليّا »

ومن فضائل يعقوب شدة الايمان بالله وقد تجلى ذلك حين أنهى له اولاده خبر افتراس الذئب أعز ابنائه اليه وهو يوسف حتى قال لهم وهو يحس ان الفتك به انما جرى من قبلهم وليس من الذئب :

« بل سوّلتْ لكم أنفُسكم امراً فصبرٌ جميلٌ واللهُ المستعانُ على ما تصفون » .

وحين ووجه يعقوب باحتجاز ابنه بنيامين شقيق يوسف من لدن عزيز مصر واحتمال ضياعه كما ضاع اخوه يوسف لم ييأس من رحمة الله بل قال :

« انما اشكو بثي وحُزني الى اللهِ وأعلم من اللهِ ما لا تعلمون ، يا بَنيّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا مِن رَوحِ الله انه لا ييأسُ من رَوحِ الله الا القومُ الكافرون » .

يوسف الصديق

قال الله تبارك وتعالى في ابراهيم :

« ووهبنا له اسحقَ ويعقوبَ كلاً هدينا ونُوحاً هَدينا من قبلُ ومن ذُرّيته داود ، وسليمان ، وايوب ، ويوسف ، وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المُحسنين » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال الله يخاطب يوسف :

« وكذلك يَجتَبيكَ رُبّك ، ويُعلّمك من تأويل الأحاديث ويُتمّ نعمته عليكَ وعلى آل يعقوب كما أتمّها على أبويكَ من قبل ابراهيمَ واسحاقَ ، ان ربّك عليمٌ حكيم » .

وخص الله يوسف بقوله :

« ولما بلَغ أشده آتيناه حُكماً وعِلماً وكذلك نَجزي المُحسنين » .

وقوله تعالى :

« وكذلك مكنّا لِيوسفَ في الارضِ يتبوّأ منها حيثُ يشاء نُصيبُ برحمتنا من نشاءُ ولا نَضيعُ أجرَ المُحسنين » .

وقوله تعالى :

« ولأجرُ الاخرة خيرٌ للذين آمنوا وكانوا يتقون » .

وقد ورد ذكر يوسف في ٢٦ موضعاً من القرآن الكريم .

ومن اجلى صفات يوسف الأمانة والعفة التي وقفته مثل ذلك الموقف المشرف وهو شاب في ريعان الشباب وغضارة الفتوة من زليخا الملكة الجميلة التي ضرب بجمالها اروع الامثال وكانت قد اختلت به وراودته عن نفسه كما تصف الآية الكريمة :

« وراوَدَتْه التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقتِ الابوابَ وقالتْ هيتَ لك . قالَ معاذَ الله انه ربّي — يريد به زوجها — أحسنَ مثوايَ إنه لا يُفلح الظالمون ، ولقد همّتْ به وهمّ بها لولا ان رأى برهانَ ربّه كذلك لنصرف عنه السوءَ والفحشاءَ انه من عبادِنا المخلصين »

وللامام الفخر الرازي كلمة قديمة أوردها في تفسيره ، خلاصتها على ما جاء في (قصص الانبياء) ان يوسف قد شهد الله تعالى ببرائته بقوله : « إنّه من عبادِنا المُخلصين » وشهد الشيطان ببرائته بقوله : « فبِعزّتِك

لأغوينّهم أجمعين الا عبادك منهم المُخلصين » وشهد ببرائته الشاهد من اهل العزيز اذ قال : « إن كانَ قميصُه قُدَّ من قُبل فصدقت وهوَ من الكاذبين ، وإن كان قميصُه قُدَّ من دُبُرٍ فكذبتْ وهو من الصادقين ، فلما رأى قميصَه قدَّ من دُبُرٍ قالَ إنه من كيدكُنّ ان كيدَكُنّ عظيم ، يوسفُ أعرضْ عن هذا ، واستغفري لذنبك إنك كنتِ من الخاطئين » وشهدت ببرائته النسوة اللاتي قطعنّ ايديهن بقولهن « ما علمنا عليه من سوءٍ » وشهدت ببرائته زوجة العزيز بقولها « الآنَ حَصْحَصَ الحقّ ، أنا راودتُه عن نفسه وانه لمن الصابرين » .

ويقول الشيخ عبد الوهاب النجار : ان قصة يوسف مورد غزير المادة لمن يريد ان يستنبط الاخلاق الفاضلة الطاهرة ويشرح الاستقامة على المبادىء الحقة واثرها في النفس ، وهي موضع درس عميق في علم النفس ، ولا يكون العالم النفسي مسرفاً إذا وضع في الاخلاق وعلم النفس كتاباً كبيراً وافياً مرجعه فيه (سورة يوسف) .

والى جانب العفة التي اتصف بها يوسف فقد اتصف بالحلم والغفران اذ قابل ذنب اخوته الذين نكلوا به وألقوه في غيابة الجب واتهموه واتهموا شقيقه (بنيامين) بالسرقة حين جاؤوه يستغفرونه قائلين : « ... تاللهِ لقد آثرك اللهُ علينا وإنّا كنا لخاطئين ، قال لا تثريب عليكم اليومَ يَغفر اللهُ لكم وهو أرحم الراحمين » .

موسى وهارون

ومن انبياء الله الذين كانت الارض المقدسة منبتاً لدعوتهم موسى بن عمران واخوه هارون فقد جاء في القرآن عن موسى :

« وأوحينا الى أمّ موسى أن أرضعيه فاذا خفتِ عليه فألقيهِ في اليمّ ولا تخافي ولا تحزَني إنّا رادّوه اليكِ وجاعلوه من المرسلين » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي آية أخرى :

« ولما بلغ أشُدَّه واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نَجزي المُحسنين »

وفي موضع آخر من القرآن الكريم :

« فلبثتَ سنينَ في اهل مدينَ ثم جئتَ على قَدَرٍ يا موسى ، واصطنعتُكَ لِنفسي » .

وفي موضع آخر من الآيات جاء عنه :

« وآتينا موسى الكتابَ وجعلناه هدىً لِبني اسرائيلَ ألاّ تتّخذوا من دُوني وكيلاً ذُرّيةَ منْ حملنا معَ نوح إنه كانَ عبداً شَكُورا » .

وجاء ذكر موسى في كثير من المواضع الاخرى منفرداً ومع اخيه هارون كما في الآية الكريمة :

« ولقد منّنا على موسى وهارون ، ونجيناهما وقومَهما من الكربِ العظيم »

« وآتيناهما الكتابَ المُستبين ، وهديناهما الصراطَ المُستقيم وتركنا عليهما في الآخرين ، سلامٌ على موسى وهارون ، إنّا كذلك نَجزي المحسنين انهما من عبادِنا المؤمنين » .

وفي آية اخرى قول الله تعالى في موسى وهارون :

« واذكر في الكتابِ موسى إنّه كان مُخلصاً وكانَ رسولاً نبيّا ، وناديناهُ من جانبِ الطُورِ الأيمن وقرّبناه نجيّا ، ووهبنا له من رَحمتِنا أخاه هارون نبيا » .

وفي موضع آخر من الآيات جاء ذكر النبيين موسى وهارون :

« إذهبْ الى فرعونَ إنه طغى ، قالَ رَبِّ اشرحْ لي صدري ، ويسّرْ لي أمري ، واحلُلْ عُقدةً من لساني يفقهوا قولي ، واجعلْ لي وزيراً من أهلي هارونَ أخي اشدُدْ به أزري ، وأشركهُ في أمري ، كي نسبّحَكَ كثيراً ، ونَذكُرَكَ كثيراً ، إنّك كنتَ بنا بصيراً ، قالَ قد أوتيتَ سؤلَكَ يا موسى » .

هل كان موسى مصرياً

نشرت جريدة الاهرام بعددها الخاص في ١٠ مايو سنة ١٩٣٩ خبراً لمراسلها في لندن نقله الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه (قصص الانبياء) جاء فيه :

موسى عليه السلام : هل كان مصريـــاً

لندن في ٩ مايو — لمراسل الاهرام — اشارت جريدة (نيوزكرونيكل) الى ألطبعة الالمانية التي نشرت في آمستردام لكتاب (موسى والتوحيد) من تأليف الاستاذ (سيجموند فرويد) من علماء تحليل النفس المشهورين ، ومما قالته الجريدة : ان اهم آراء الاستاذ (فرويد) في هذا الصدد قوله : ان النبي موسى لم يكن يهودياً ، بل كان مصرياً من اتباع (إخناتون) وهو يعتقد — اي فرويد — ان اليهودية والمسيحية ، اشتقتا من عبادة اخناتون للشمس .

وقالت الاهرام : وسننشر الترجمة الانكليزية لهذا الكتاب يوم ٢٦ مايو الحالي[1] .

وردّ على هذا القول بعض العلماء كان منهم الاستاذ منصور وهبه ، والدكتور هلال فارحي ، ونوقش رأي فرويد فيما يتعلق بنسب موسى وفيما يتعلق باليهودية والمسيحية وكونهما قد اشتقتا من عبادة اخناتون للشمس .

والمعروف عند المتتبعين والباحثين هو ان اخناتون لم يكن من عباد الشمس كما يقول فرويد وانما كان موحداً يؤمن بالاله الواحد وانه كان يعتبر الشمس من اكبر آيات الله ويتخذها وسيلة الى الله تعالى وهذا ما استدل عليه من الآثار وعلى هذا فلن يكون هنالك خلاف في العقيدة بين اخناتون وبين موسى الا في تقديس الوسيلة وهي الشمس على ما نرى .

---

(١) قصص الانبياء — للشيخ عبدالوهاب النجار ط ٣ ص ١٥٥ .

ومن اشهر ما اتصف به موسى وهارون هو الجهاد المستمر في سبيل الدعوة للتوحيد وعبادة الله سواء يوم كان بمصر او يوم حل بفلسطين وهو يدعو بني اسرائيل الى دين الحق وهم يتمردون عليه حتى اتخذوا عبادة العجل وحتى اكثروا عليه من الحجج والمقترحات والطلبات فقال :

« ربِّ اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرقْ بيننا وبين القوم الفاسقين »

ومن اشهر ما اتصف به موسى اخلاصه في العمل ومراعاته العهود ومن ذلك كان عهده في خدمة (شعيب) وقضاء الأجل الذي بينه وبين شعيب وزاد على ذلك رعاية منه لشيخ كبير ليس له من ناصر وقريب .

داود

ومن انبياء الارض المقدسة كان داود وقد جاء ذكره في ١٦ موضعاً من القرآن الكريم : قال الله تعالى :

« ومن ذريّته داودُ وسليمانُ أولئك الذينَ هدى اللهُ فبِهداهُم اقتَدِهْ »

وجاء في آية أخرى :

« واذكر عبدنا داودَ ذا الأيدِ إنّه أوّاب ، إنّا سخّرنا الجبالَ معه يُسبحّنَ بالعشي والإشراق ، والطيرُ محشورةٌ كلٌ له أوّاب ، وشدَدنا مُلكَه ، وآتيناهُ الحكمةَ وفَصلَ الخطاب » .

كذلك جاء ذكره في آية اخرى :

« ولقد فضّلنا بعضَ النبيينَ وآتينا داودَ زبورا » .

والزبور عبارة عن قصائد واناشيد تتضمن التسبيح لله وحمده والثناء عليه والتضرع له .

ومن اشهر ما اتصف به داود انه جزأ ازمانه يوماً للعبادة ، ويوماً للقضاء ، ويوماً للوعظ ، ويوماً لخاصة نفسه ، ثم انه عرف بعد ذلك بالحكمة كما جاء

في الآية الكريمة : « وشددنا مُلكه وآتيناهُ الحكمةَ وفصلَ الخطاب » وفي الآية الكريمة « ولقد آتينا داودَ وسليمانَ علماً وقالا الحمد للهِ الذي فضّلنا على كثيرٍ من عبادِهِ المؤمنين » .

وهو بعد ذلك كان معروفاً بحسن الصوت ورخامته وحسن الانشاد .

سليمان

وجاء في القرآن الكريم عن سليمان :

« ووَهبنا لداودَ سليمانَ نعم العبدِ إنّه أوّاب » .

وفي موضع آخر :

« إعملوا آلَ داودَ شُكراً وقليلٌ من عباديَ الشّكور » .

وفي موضع آخر على لسان سليمان :

« وقالَ ربّي أوزِعني أن أشكرَ نِعمتَك التي أنعمت عليّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادِكَ الصالحين » .

واستجاب الله دعاه على ما تقول التفاسير ، والمراد بوالديه هو داود وأمه . وكانت أم سليمان على ما يروي الرواة والمفسرون من العابدات الصالحات . وقد روي عن جابر عن النبي (ص) قال :

قالت ام سليمان بن داود (لابنها) : « يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيراً يوم القيامة »[1] .

وجاء ذكر سليمان في ١٧ موضعاً من القرآن الكريم .

ومن اشهر مميزات سليمان الذكاء والفطنة واصالة الرأي منذ صباه وقد تمثل العدل في جميع احكامه على ما يقول المفسرون ، فقد قال المفسرون :

---

(١) البداية والنهاية – لابي اسماعيل بن كثير القرشي ج ٢ ص ٢٠ مط السعادة بمصر .

ان حزناً — أي زرعاً او كرماً — تدلت عناقيده نفشت فيه غنم لغير اهله — اي أكلته ليلاً — فجاء المتحاكمون الى داود وعنده سليمان فحكم داود بالغنم لصاحب الحرث عوضاً عن حرثه الذي أتلفته الغنم برعيه اياه ليلاً ، فقال سليمان — وهو ابن احدى عشرة سنة على ما تقول الرواية — غير هذا أرفق ، فأمرٌ بدفع الغنم الى أهل الحرث فينتفعوا بألبانها وأولادها وأشعارها ، وادفع الحرث إلى اهل الغنم يقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادّان — اي يرد كل جانب ما يخص الجانب الآخر اليه — [1] .

وعلق عبد الوهاب النجار على ذلك بقوله :

قال البيضاوي (والاول) نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني (والثاني) مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا أبق ، وحكمه عند الشافعي : وجوب ضمان المتلف بالليل ، إذ المعتادّ ضبط الدواب ليلاً ، وكذلك قضى النبي صلى الله عليه وآله لما دخلت ناقة البراء حائطاً وأفسدته فقال :

« على اهل الاموال حفظها بالنهار ، وعلى اهل الدواب حفظها بالليل » وعند ابي حنيفة : لا ضمان الا ان يكون معها حافظ .

زكريا ويحيى

وزكريا هو ابو يحيى على ما يقول المفسرون وكان زوجاً لخالة مريم ابنة عمران وكان زكريا ممن يقوم على رعاية الهيكل في العبادة ، وكانت امرأة عمران — أم مريم — قد نذرت مولودها للهيكل ، وحين ولدت مريم جاءت بها الى الهيكل ، وقد تصدى كل من كان على خدمة المعبد لأن يكفلها والتجأوا الى القرعة لحسم النزاع فكانت (مريم) نصيب (زكريا) فقام بأمرها كما اشارت الآية الكريمة الى ذلك في قولها :

---

(١) قصص الانبياء — الشيخ عبدالوهاب النجار ط ٣ ص ٣١١ — ٣١٢ .

« وكفّلها زكريّا » .

كما اشار القرآن الكريم الى القرعة بهذا الشأن اذ قال :

« وما كنتَ لديهم إذ يُلقونَ اقلامَهم أيّهم يكفلُ مريمَ وما كنتَ لَدَيهم إذ يختصمون » .

وكانت زوج زكريا عاقراً وقد بلغ هو من العمر عتياً وحين شاهد مريم وقد رزقها الله بعيسى اشتدت ضراعته لله بان يرزقه ولداً ، ينهج نهجه في الدعوة لعبادة الله بعد تخوفه من استمرار بني اسرائيل في الضلال .

وتقول الآية الكريمة :

« ونادَته الملائكةُ وهو قائمٌ يصلّي في المحراب إنّ الله يُبشّركَ بيحيي مصدقاً بكلمةٍ من الله وسيّداً وحَصوراً » .

فحملت زوجة زكريا بيحيي وجاء عنه في القرآن :

« وآتيناه الحُكمَ صبياً » .

وفي آية أخرى :

« يا زكريا إنّا نُبشّركَ بغلامٍ اسمُهُ يحيي لم نَجعلْ له من قبلُ سميّا »

وفي موضع آخر من القرآن الكريم :

« يا يحيي خُذِ الكتابَ بقوةٍ وآتيناه الحكمَ صبيا ، وحناناً من لَدُنّا وزكاةً ، وكانَ تقيّا ، وبرّاً بوالديه ولم يكنْ جبّاراً عصيّا ، وسلامٌ عليه يومَ وُلِدَ ويومَ يموتُ ، ويومَ يبعث حيّا » .

وقد قتل يحيي كما تقول الاخبار كما قتل ابوه زكريا ، وفي نبوّتيهما اقوال اذ قيل انهما لم يكونا من الانبياء وانما كانا من عباد الله الذين وصفتهم الآية أباً وأماً وابناً فقالت :

« كانوا يُسارعونَ في الخيراتِ ويدعونَنا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين »

عيسى بن مريم

وجاء في القرآن الكريم عن عيسى بن مريم الآية :

« وزكريّا وعيسى والياس كلٌّ من الصالحين »

وفي موضع آخر من القرآن الكريم قول الله :

« إذ قالَ اللهُ يا عيسى إنّي مُتوفّيكَ ورافعُك إليَّ ومُطهّركَ من الذين كفرُوا وجاعلُ الذين اتبعوكَ فوقَ الذين كفروا الى يوم القيامةِ ثم إليَّ مَرجِعُكم فأحكمُ بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » .

وفي آية اخرى :

« إذ قالتِ الملائكةُ يا مريمُ إنّ اللهَ يبشّركِ بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى بن مريمَ وجيهاً في الدنيا والآخرةِ ومن المقرّبين » .

وفي موضع آخر من الآيات :

« ويعلّمه الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والانجيلَ ورسولاً الى بني اسرائيلَ إني قد جِئتُكم بآيةٍ من رَبّكم اني أخلقُ لكم من الطينِ كهيئةِ الطيرِ فأنفخُ فيه فيكون طيراً باذنِ اللهِ وأبرىءُ الأكمهَ والأبرصَ ، وأحيي المَوتى باذن اللهِ وأنبئكم بما تأكلونَ وما تدّخرونَ في بيوتكم ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين » .

وفي آية اخرى :

« فلما أحسّ عيسى منهم الكفرَ قالَ مَنْ أنصاري إلى الله قال الحَواريّون نحن انصارُ الله آمنّا باللهِ واشهدْ بانا مسلمون ، رَبّنا آمنّا بما أنزلتَ واتبعنا الرسولَ فاكتبنا مَعَ الشاهدين » .

وفي آية اخرى :

« إنّ مثل عيسى عندَ الله كمثلِ آدمَ خلقه من ترابٍ ثم قالَ له كن فيكون »

وفي رسالته تقول الآية :

« وقفّينا على آثارِهم بعيسى بن مريمَ مصدقاً لما بين يَديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين » .

ويؤكد القرآن رسالة عيسى بآية أخرى فيقول :

« ثم قفّينا على آثارِهم بِرسلِنا وقفينا بعيسى بن مريمَ وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوبِ الذين اتبعوه رأفةً ورحمة » .

كذلك تؤكد الآيات رسالة عيسى في مواضع اخرى فتقول :

« وآتينا عيسى بن مريمَ البيّنات ، وأيّدناه بروحِ القدس » .

وفي مكانته ومقامه عند الله تقول الآية :

« وما قتلوه يقيناً بل رَفعَه اللهُ اليه وكانَ الله عزيزاً حكيماً » .

وكثيرة هي خصائص المسيح وقد جاء ذكره في ٢٤ موضعاً من القرآن الكريم ، وكان من أهم ما اتصف به هو الحلم والصفح ومقابلة الاساءة بالاحسان ، ومن مبادئه المشهورة :

« اذا ضربك احد على خدّك الايمن فأدر له خدك الأيسر » .

« والمكان الذي حوكم فيه السيد المسيح في عهد الحكم الروماني عندما كان اليهود يطالبون بتسليمه اليهم لقتله او صلبه ، اصبح فيما بعد في عهد الحكم الاسلامي مدرسة وقفية يؤمها طلاب العلم من مختلف الأقطار ، وهي واقعة في جوار الحرم القدسي الشريف وفي مكان مرتفع يشرف على المسجد الاقصى المبارك والقسم الأكبر من مدينة القدس . وبمرور الزمن وتعاقب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاحداث تشعث بنيانها ودرس معظم آثارها ، وفي اواخر عهد الدولة العثمانية أصبحت ثكنة عسكرية . فلما تألف المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى عام ١٩٢٠ وتولى شؤون المحاكم الشرعية والاوقاف الاسلامية قام بعمارة هذا المكان الاثري التاريخي وحوّله كما كان من قبل داراً للعلم ، فاستقرت فيه كلية روضة المعارف الوطنية نحو ١٥ عاماً كانت خلالها معقلاً من معاقل القضية الوطنية الفلسطينية وملتقى رجالات العالمين العربي والاسلامي ، وفي قاعة محاضراتها الفسيحة انعقد اول مؤتمر اسلامي عالمي لقضية فلسطين عام ١٩٣١ وغيره من المؤتمرات والاجتماعات الوطنية . ثم استولت عليه السلطة العسكرية البريطانية عام ١٩٣٨ واتخذته مركزاً عسكرياً لمقاومة المجاهدين الفلسطينيين داخل القدس القديمة عندما تفاقم أمر الثورة الفلسطينية واشتد خطرها . ولما استوأنفت الثورة عام ١٩٤٧ اثر قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ، استولى عليه جيش الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني وسلمه لقيادة المتطوعين العراقيين . واخيراً اصبح داراً للمدرسة العمرية التابعة لوزارة التربية والتعليم الاردنية[1] . (اما اليوم فهي تحت سيطرة الاسرائيليين) .

مريم العذراء

وفي قدسية مريم وفضيلتها ذكر مجيد في القرآن الكريم وقد جاء ذكرها في ٩ مواضع من القرآن منها :

« إذ قالتْ امرأةُ عمرانَ ربِّ إني نذرتُ لك ما في بطني مُحَرَّراً فتقبّلْ منّي إنّك انتَ السميعُ العليم ، فلما وضعتْها قالتْ رَبِّ إني وَضَعتُها أُنثى واللهُ أعلمُ بما وَضَعتْ وليس الذَكرُ كالأنثى واني سمّيتها مريمَ واني أُعيذُها بك وذُرّيتَها من الشيطان الرجيم ، فتَقبّلها ربّها بقبولٍ حسنٍ

---

(١) من مذكرات السيد محمد امين الحسيني .

وأنبتها نباتاً حسَناً وكفّلها زكريا كلّما دخَل عليها زكريا المحرابَ وَجَدَ عندها رِزقاً قالَ يا مريمُ أنّى لكِ هذا قالتْ هو من عندِ اللهِ ان اللهَ يرزقُ من يشاءُ بغيرِ حساب » .

ومن الآيات الباهرات قولُ الله تعالى في مريم :

« واذ قالت الملائكةُ يا مريمُ ان اللهَ اصطفاكِ وطَهّرك واصطفاكِ على نساء العالمين » .

* * *

هذا الى جانب المئات من الرسل والانبياء والقديسين الذين جاء ذكر بعضهم في القرآن الكريم وبعضهم في الروايات ، والقصص ، والاخبار ، الى جانب ذكر قصصهم في التوراة والانجيل تصريحاً او تلميحاً ، ومن هولاء النبي (شعيا) بن (أمصيا) وكان قد جاء قبل زكريا ويحيى ، وتقول الروايات ان (شعيا) هذا هو الذي بشّر بعيسى ومحمد عليهما السلام وهذا ما رواه محمد بن اسحق .

وكل هولاء الرسل والانبياء والقديسين الذين جاء ذكرهم في الكتب المقدسة وفي القرآن الكريم قد أضفوا على ارض فلسطين هذه القدسية العظيمة في عقيدة الاسلام . وجعلوا لهذه الارض — ولا سيما القدس — منزلة لا تضاهيها منزلة من حيث هذا الجمع المحتشد من الرسل والانبياء والقديسين الذين ولدوا فيها ، او عاشوا في ربوعها ، وبشروا بعبادة الله في اصقاعها وهياكلها ومعابدها ، او ماتوا في ارضها وقبروا في تربتها .

ومن الآيات العامة في جمع من اولئك الانبياء قول الله تعالى عنهم ومن بينهم النبي اسماعيل الذي ولد في ارض فلسطين :

« قُولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل الى ابراهيمَ واسماعيلَ واسحاق

ويعقوب والأسباطَ وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيون من رَبّهم لا نفرّقُ بين أحد منهم ونحنُ له مسلمون » .

وفي آية اخرى خص الله طائفة من اولئك الانبياء الذين استوطن معظمهم ارض فلسطين بالذكر فقال تعالى في سورة النساء .

« إنّا أوحينا اليكَ كما أوحينا الى نوحٍ والنّبيينَ من بَعدِهِ ، وأوحينا الى إبراهيمَ وإسماعيلَ ، واسحاقَ ، ويعقوبَ والاسباطَ وعيسى وأيّوب ويُونس وهارون وسليمان ، وآتينا داودَ زبوراً ، ورُسُلاً قد قصصناهم عليك من قبل ، ورُسُلاً لم نقصصْهم عليك وكلّم اللهُ موسى تكليماً ، رُسلاً مُبشّرين ومُنذرين لئلا يكونَ للناس على اللهِ حجّة بعد الرُسُلِ وكان اللهُ عزيزاً حكيماً » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القدس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لمحـــة موجـــزة

عن تاريخ القدس

يقول عارف باشا العارف عن القدس : «لم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه هذه البسيطة الدور الذي لعبته مدينة القدس في التاريخ ، انها وان لم تكن من المدن التجارية المهمة ، ولا من المدن الزراعية او الصناعية على رغم وقوعها بين البادية في الشرق ، والبحر من الغرب ، الا انها كانت على مرّ الدهور مطمح أنظار الغزاة والفاتحين فحوصرت مراراً ، وهدمت تكراراً ، وهجرت ، وأُعيد بناؤها ثماني عشرة مرة في التاريخ ، ولكنها بالرغم من هذا كله ظلت قائمة في هذا الوجود ، وظل اسمها مذكوراً في طليعة المدن والبلدان ، ذلك لانها مقدسة في نظر جميع الاديان » .

والباحث في تاريخ القدس لا يستطيع ان يقطع بمبدأ هذا التاريخ ويعرف كيف نشأت هذه المدينة اول ما نشأت ، وكل ما يمكن التثبت منه هو ان هذه المدينة موغلة في القدم وليس الى معرفة اصلها في الواقع العلمي سبيل .

اما الاخبار فتقول ان ارض مدينة القدس كانت صحراء قبل ان تبنى وتمصّر وهي واقعة بين اودية وجبال ليس فيها بناء او عمارة فكان اول من اختطها وبناها ملك اليبوسيين المدعو ملكيصادق . ومعناه بالعبرانية ملك الصدق ، وقد قيل انه اسم لسام بن نوح . وقيل ان اول اسم اطلق على القدس

كان (بيوس) نسبة إلى اليبوسيين وقيل بل ان اول اسم اطلق عليها كان اسم (ايلياء) لان ايلياء هو الذي بناها على ما تقول هذه الاخبار وليس (ملكيصادق) ، وان ايلياء هذا كما يقول ياقوت هو ابن ارم بن سام بن نوح وهو اخو دمشق ! وحمص ! واردن ! وفلسطين[1] مما لا يخرج عن دائرة الاخبار .

و (ايلياء) بالالف الممدودة وبالالف المقصورة (ايليا) وبحذف الياء الاولى (إليا) ومعناه بيت الله ، وقد سمي البيت المقدس ايلياء على ما جاء في شعر الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحـــن ولاتـــه وقصر باعلى (إيلياء) مشرف[2]

وهناك من يقول ان اسمها الاول كان (روشلم) اطلق عليها هذا الاسم حين تم بناؤها[3] اما اسماؤها الاخرى من (اورشليم) و (اوريسلم) بالسين المهملة و (اوريشلوم) و (اوريشلّم) بتشديد اللام و (اوراسلم) فهي اسماء عبرانية اطلقت عليها فيما بعد ، ومن ضمنها (روشلم) التي وردت في كتاب (الانس الجليل) محرفة على ما نعتقد .

وفي حديث عطاء أبشري (أوري شلم) براكب الحمار يريد بيت المقدس .

قال الاعشى :

وقـــد طفتُ للمـــال آفاقـــه عمان ، فحمص ، فأوري شلم[4]

وهناك اسماء قديمة اخرى اطلقت على (القدس) قبل ان تسمى بالقدس ومن ضمن هذه الاسماء اسم (سالم) واسم (شالم) وقد اشتق الاسمان من

---

(١) معجم البلدان – مادة (ايلياء) مط صادر ودار بيروت – بيروت .
(٢) المصدر المتقدم .
(٣) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ١٠ .
(٤) النهاية في غريب الحديث والاثر – لابن الاثير ج ١ ص ٥٠ .

اسم (ملكيصادق) الباني الاول للقدس ، والذي اطلقوا عليه (ملك السلام) [1] على ما تقول الروايات .

ومن ضمن هذه الاسماء ايضاً اسم (صهيون) قال الازهري : قال ابو عمرو : صهيون هي الروم ، وقيل البيت المقدس ، وقال ياقوت ، وصهيون موضع معروف بالبيت المقدس محلة فيها كنيسة صهيون ، والمعروف انه جبل في القدس ،

ومن اسمائها (بابيشي) على ما ورد في سجلات الفراعنة الذين سيطروا على القدس حيناً من الدهر [2] .

وسماها الامبراطور ادريانوس سنة ١٣٩ م باسم (إيليا كابتولينا) ولكنها عادت فعرفت باسم (ايلياء) اي بيت الله حتى الفتح الاسلامي حيث استقرت على اسم واحد هو بيت المقدس ، وسمي مسجدها بالمسجد الاقصى ثم اقتصر اسمها على (القدس) وهو من اسماء الله [3] .

والقدس هو (البيت المقدس) الذي سنشير اليه فيما بعد ، وقد سمي بذلك في الاسلام لأنه المحل الذي يتطهر فيه من الذنوب او سمي بذلك للبركة التي فيه ، قال الشاعر :

لا نوم حتى تهبطي ارضَ العُدُسْ وتشربي من خير ماءٍ بِقُدُسْ

وقد اراد بذلك الارض المقدسة على ما جاء في تاج العروس ولسان العرب ،

والقُدّوس هو الطاهر المنزّه عن العيوب ، ولم يجيء منه الا (قدّوس) و (سبّوح) و (ذرّوح) وقد تكرر ذكر التقديس في الحديث والمراد به

---

(١) تاريخ القدس – نقلا عن سفر التكوين الاصحاح ١٤ العدد ١٨ .

(٢) انها لذكرى – شاكر البدري مط دار البصري ، ولقاء عند بوابة مندلبوم – احمد فوزي عبد الجبار .

(٣) النهاية في غريب الحديث والاثر ج ٣ ص ٢٣٣ – ٢٣٤ مط العثمانية بسوق الزلط بمصر .

التطهير ، ومنه الارض المقدسة ، قيل هي الشام وفلسطين ، وسمي (بيت المقدس) لانه الموضع الذي يتقدس فيه من الذنوب ، ويقال (بيت المَقْدَس) و (البيت المُقَدّس) و (بيت القُدْس) .

ومن الحديث : لا قُدّست أمّةٌ لا يؤخذ لضعيفها من قويها ، اي لا طُهّرت[1] .

ثم حين استولى العثمانيون على فلسطين اطلقوا على (القدس) نعت (الشريف) فصارت تدعى (بالقدس الشريف) .

كيفية بناء القدس لأول مرة

وسواء كان الباني الاول لمدينة القدس هو سام الملقب (بملكيصادق) كما تقول الاخبار او كان بانيها ايلياء حفيد ملكيصادق ، فقد تواترت الاخبار بان بناتها كان (اليبوسيون) وان (ملكيصادق) اي سام بن نوح هو اول من اختطها وبناها وكان قبل ذلك يسكن وقومه في الكهوف ، وقد عرف بالتقوى فما غشي امرأة ، ولا اراق دماً . وما أكل سوى الخبز ، وما شرب سوى الخمر ، وكان محباً للسلام حتى اطلق عليه (ملك السلام) [2] واشتهر امره حتى بلغ ملوك الارض الذين هم بالقرب من ارض بيت المقدس وبالشام ، وسدوم وغيرهما ، وتقول هذه الرواية ان عدة اولئك الملوك كانت اثني عشر ملكاً ، فحضروا اليه ، فلما رأوه ، وسمعوا كلامه اعتقدوه وأحبوه حبّاً شديداً ، ودفعوا له مالاً ليعمر به مدينة القدس ، فاختطها وعمرها وسميت (بروشلم) فلما انتهت عمارتها اتفق الملوك كلهم على ان يكون (ملكيصادق (ملكاً عليها ، وكنّوه (بابي الملوك) وكانوا باجمعهم تحت طاعته ، واستمر حتى مات بها[3] على ما تقول الاخبار .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) تاريخ القدس – عارف باشا العارف ص ١١ مط دار المعارف بمصر .

(٣) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ١٠ .

وقيل ان سام هذا كان القيم بعد ابيه نوح في الارض ومن ذريته الانبياء كلهم ، وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، ونزل بنو، سرّة الارض ولم تكتف هذه الاخبار بان تنسب له التخطيط الاول لمدينة القدس ، وانما اعتبرته هو المؤسس الاول (للمسجد) في القدس .

ويرى بعض الذين يعتمدون الاخبار بدون تمحيص علمي ان آدم هو الذي بنى بيت المقدس ، وقال البعض الآخر بل بنته الملائكة ،

اما الشيء الثابت هو ان مدينة القدس مدينة قديمة ، وغاية في القدم كما يستدلّ من الآثار ، ويقول عنها القاضي مجير الدين الحنبلي انها كانت قديماً اكبر من مصر (ولعله يقصد القاهرة) واكبر من بغداد كما وصفها البعض من مؤرخي المسلمين ، فقالوا ان العمارة والمنازل كانت متصلة من جهة القبلة الى القرية المعروفة يومئذ (بدير السنة) ومن جهة الشرق الى جبل طور واستمرت العمارة بطورزيتا الى حين الفتح العمري ، وما عمارة داود وسليمان لمدينة القدس الا تجديد البناء القديم ليس الا[1] .

---

(١) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ١٠٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القدس في عهد
اليبوسيين والكنعانيين

واليبوسيون هم بناة القدس الاولون كانوا رهطاً من بطون العرب الاوائل نشأوا في صميم الجزيرة العربية وترعرعوا في ارجائها ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية واستوطنوا ارض فلسطين ، واغلب الظن ان ذلك قد حدث حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد[١] فكان اليبوسيون هم اصحاب القدس ، اما حبرون وبيت لحم فقد كان اصحابها الاموريين .

والكنعانيون عرب من نجـد وينتسبون هم الآخرون الى سام كنسبة اليبوسيين ملوك القدس انفسهم وقد قيل ان كنعان موجود بفلسطين منذ ماية قرن على الاقل اما شراح العهد القديم فلا يعترفون بهذه التقديرات اذ يرون ان عمر العالم يستحيل ان يتجاوز السبعين قرناً[٢] مستندين في ذلك على التوراة الذي يرجع اليه المؤرخون لقدمه وكونه المصدر الاول في هذه الاخبار ،

ويستنتج المورخون من بعض الآثار ولا سيما الآثار المصرية في ايام الفراعنة الى جانب الاخبار المروية بان اليبوسيين ما لبثوا ان اصبحوا ذوي حضارة وكانت (القدس) المسماة (يبوس) عنوان تلك الحضارة التي كانت تتجلى

---

(١) تاريخ القدس ص ١١ مط المعارف بمصر .
(٢) اسرائيل بنت بريطانيا البكر – محمد علي الزعبي ص ٢١ .

في عماراتها وابنيتها الفخمة واسباب معيشتها ورفاهية سكانها ، وكان من ملوك (يبوس) القدماء الملك (سالم اليبوسي) وقد بذل جهداً كبيراً في سعة عمران هذه البلدة ، واقام على جبل صهيون وهو محل من محلات القدس برجاً للدفاع عن المدينة عند محاولة غزوها من الشرق او الغرب ، وكانت لليبوسيين في القدس حكومة ذات نظام ، لها صناعتها وتجارتها ، وكيانها المعروف بين المدن المتحضرة .

وان موقع (يبوس) الاستراتيجي قد جعل لها ولليبوسيين والكنعانيين شأناً كبيراً في عالم التجارة ، فهي واقعة على طريقين من اهم طرق التجارة واحدة تربط البحر بالصحراء ، والاخرى تربط حبرون (الخليل) (ببيت إيل) من اعمال (رام الله) وفي (بيت إيل) كانت الطريق تسير في اتجاهين : واحد نحو شكيم (نابلس) والآخر الى (اريحا) ووادي الاردن[1] .

فكان لا بد ان تزدهر الحضارة في القدس بسبب انتقال التجارة والبضاعة والصناعة بين العراق من الشرق والفينيقيين من الشمال وبين مصر من جهة الغرب عن طريق هذه المدينة وسكانها اليبوسيين والكنعانين .

وبالنظر لموقع (يبوس) الجغرافي وكونها واقعة على مرتفعات مطوقة بالاسوار المنيعة التي بناها ملوكها دفاعاً عنها عند محاولة غزوها فقد اصبحت (يبوس) منيعة واصبح سكانها وملوكها ممن يعتز بهذه المناعة فكان لملوكها جيوش اشداء وكانوا يحسنون السياسة فقد اورد المؤرخون اخباراً كثيرة تتعلق بحسن هذه الصناعة وما عثر عليه في الآثار من عقود ومعاهدات بين ملوك (يبوس) والملوك المجاورين وتحسين علاقات بعضهم ببعض زيادة في توثيق حسن الجوار والاستعداد للدفاع المشترك بينهم عند وقوع الحرب .

والراجح ان معظم سكان الضياع والقرى المجاورة كانوا من الكنعانيين

---

(١) تاريخ القدس – عارف باشا العارف ص ١٢ مط دار المعارف بمصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذين لا يكاد يميزهم احد عن اليبوسيين لاتحاد الاصل والعنصر فكلاهما ساميان ، وكلاهما قد هاجر في اوقات متقاربة ان لم تكن واحدة ، وكلاهما وجدا في هذه البقعة وهناك من يطلق على الرهطين اسماً واحداً ويسميهما بالكنعانيين ، اما اللغة فكانت كنعانية ولم تتغير الا حين تداخلت فيها اللغة البابلية عند استيلاء البابليين عليها ، وظلت اللغة البابلية هي اللغة الرسمية الى ان دخلها الفرس وسيطروا عليها ،

وكانت ديانة القدس وسكانها اليبوسيين عبادة الاصنام ، وكان صنمهم الاكبر (بعل) ومعناه الرب[1] وكان بعل هذا صنماً صيغ من الذهب لقوم الياس كما جاء ذلك في قول الله تعالى « وإنّ الياسَ لَمِنَ المُرسلين ، إذ قال لقومِه أتدعون بعلاً وَتَذرونَ أحسنَ الخالقين » .

قال علماء النسب : هو الياس التشبي وقد بعث بالنبوة بعد (هارون) فالانبياء الذين بعثوا قبله هم آدم ، وشيث ، وادريس ، ثم نوح ، ثم ابراهيم ثم اسماعيل، واسحق ثم يعقوب، ثم يوسف، ثم لوط، ثم صالح ، ثم شعيب ثم موسى وهارون ابنا عمران [2] وقالوا كان ارسال الياس الى اهل بعلبك الذين كانوا يعبدون صنماً باسم (بعل) فكذبوا النبيّ الياس .

وفي نسخ أخرى من الاقوال ان (بعل) هذا كان يخص قوم يونس ، وسمى العرب معبودهم الذين يتقربون به الى الله بعلاً لاعتقادهم الاستعلاء به .

شارع من شوارع القدس القديمة

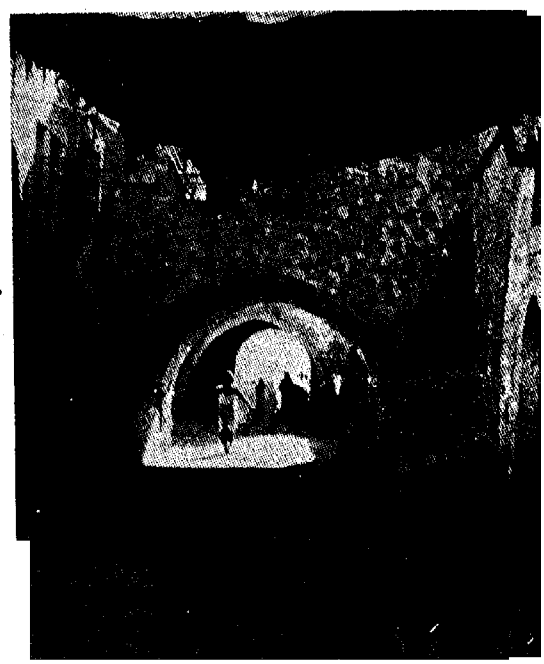

---

(١) تاج العروس مادة (بعل) .

(٢) البداية والنهاية في التاريخ ج ١ ص ٣٣٧ مط السعادة بمصر .

وكانت هذه الحضارة التي تتمتع بها (القدس) ، والحياة الرفيهة التي كان ينعم بها سكان القدس قد جعلتها مطمح الانظار ولا سيما من قبل العبرانيين الذين كانوا يعيشون عيش البداوة في البراري والخيام ويمارسون رعي الغنم وقد بدأوا يقلقون راحة الكنعانيين في مدنهم وقراهم ويهاجمون سكان (القدس) فلاذ اليبوسيون — وقد بدأوا يشعرون بالضعف — بفراعنة مصر ، فكان هذا سبباً لخضوع القدس مدة للفراعنة وسيطرتهم وليس من شك ان (القدس) قد تأثرت بالحضارة الفرعونية واقتبست منها شيئاً غير قليل ، وكان من اشهر الفراعنة الذين سيطروا على القدس (توت عنخ آمون) و (رعمسيس الثاني) . .

والظاهرة التي توصل اليها المؤرخون من مدارستهم للآثار وقراءة ما وجدوه من النقوش والكتابة في الآثار المصرية ان القدس كانت في عهد استيلاء الفراعنة عليها محفوفة بغابات كثيفة تمتد من الجبال حتى البحر ، ولا شك انه كان لهذه الغابات شأنها ايضاً في خدمة الحضارة للفوائد التي يمكن ان تحصل من اخشابها في البناء والشعال فضلاً عن استغلال حاصلاتها الحيوانية والشجرية .

القدس في عهد العبرانيين

واخيراً غزا العبرانيون القدس وتمكنوا من احتلالها في نحو عام ١٠٤٩ على ما تذكر بعض المصادر واستمر حكم العبرانيين نحو اربعة قرون اقتبس العبرانيون الشيء الكثير من الحضارة التي عرفت بها القدس فغيرت لهم طريقة معيشتهم ، وطورت حياتهم ، ونقلتهم من حياة البداوة الى المدنية مما اشرنا الى ذلك من قبل ، ويذهب المؤرخون الى ان سيطرة العبرانيين خلال تلك المدة لم تكن سيطرة تامة سالمة من الثورة والتمرد باستثناء عهد داود وعهد سليمان بصورة خاصة ، وكان داود اول من احتل القدس كملك اذ سار بجيش قيل ان عدده كان ثلاثين الف مقاتل فاستولى عليها وغير اسمها الكنعاني (اوروسالم) وسماها (مدينة داود) ولكن هذا الاسم لم يدم طويلاً ، فكان داود اول

ملك عبراني سيطر على المدينة بالرغم من الثورات التي قامت في وجهه من قبل اولاده اخوة سليمات.

وكان داود قبل ان يزحف بجيشه على القدس يقيم في حبرون (الخليل) فدخل القدس ملكاً عليها ولاول مرة شرع ببناء (بيت المقدس) اي المسجد .

بناء بيت المقدس (المسجد)

وفي بعض الاخبار ان داود لم يكن هو الذي اول من شرع ببناء بيت المقدس (المسجد) ولا سليمان كان اول بانيه كما يقول معظم المؤرخين وانما كان اول من بنى بيت المقدس هو يعقوب بن اسحق ، فقد رووا ان يعقوب حين لحق اخاه (العيص) باهله وما معه من الانعام والمواشي والعبيد قاصدين جبال (ساعير) مرّ (بساحور) فابتنى له بيتاً ، ولدوابّه ظلالاً ، ثم مرّ على اورشليم قرية (شخيم) بن جمّور فنزل قبل القرية ، واشترى مزرعة (شخيم) بن جمور بمائة نعجة ، فضرب هنالك فسطاطه ، وابتنى ثمة مذبحاً وسماه (ايل إله اسرائيل) وأمره الله ببنائه ليستعلن له فيه ، وهو (بيت المقدس) اليوم والذي جدده بعد ذلك سليمان بن داود ، وهو مكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك .

وهنالك اخبار اخرى تقول انه لما استقرت يد يوشع بن نون بعد موسى على البيت المقدس نصب (قبة الزمان) التي كان قد اقامها موسى وكانت تحمل في التيه كرمز مقدس للعبادة ، لقد نصبها يوشع على صخرة بيت المقدس فكانوا يصلون اليها فلما بادت صلوا الى محلتها وهي الصخرة فلهذا كانت قبلة الانبياء[1] .

اما الاخبار التي تبانى عليها اغلب المؤرخين فهي ان داود هو الذي بنى

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير القرشي ج ١ ص ٣٠٨ مط السعادة بمصر .

المسجد – اي بيت المقدس – وعلى الصخرة قبة في الموضع الذي قدسه الله تعالى في (ايليا) .

واوحى الله الى داود – على ما تقول هذه الاخبار – لما كثر طغيان بني اسرائيل : اني اقسمت بعزتي لابتلينهم بالقحط سنتين او اسلط عليهم العدو شهرين، او الطاعون ثلاثة ايام، فاختار داود الطاعون ، وامرهم ان يتجهزوا ويلبسوا اكفانهم ، ويخرجوا نساءهم ، وإماءهم ، واولادهم أمامهم وهم خلفهم على الصخرة والصعيد الذي بنى عليه مسجد بيت المقدس وهو يومئذ صعيد واحد ، ففعلوا واظهروا هناك مسكنتهم وخروا سجداً من حين طلوع الصبح ، فسلط الله عليهم الطاعون من ذلك الوقت الى أن زالت الشمس ثم رفعه عنهم .

ثم اوحى الله الى داود أن ارفعوا رؤوسكم فقد شفّعتك فيهم فرفع داود رأسه ثم نادى بني اسرائيل ان ارفعوا رؤوسكم فرفعوا رؤوسهم وقد مات

مسجد النبي داود وقد تناول فيه المسيح وحواريوه العشاء السري

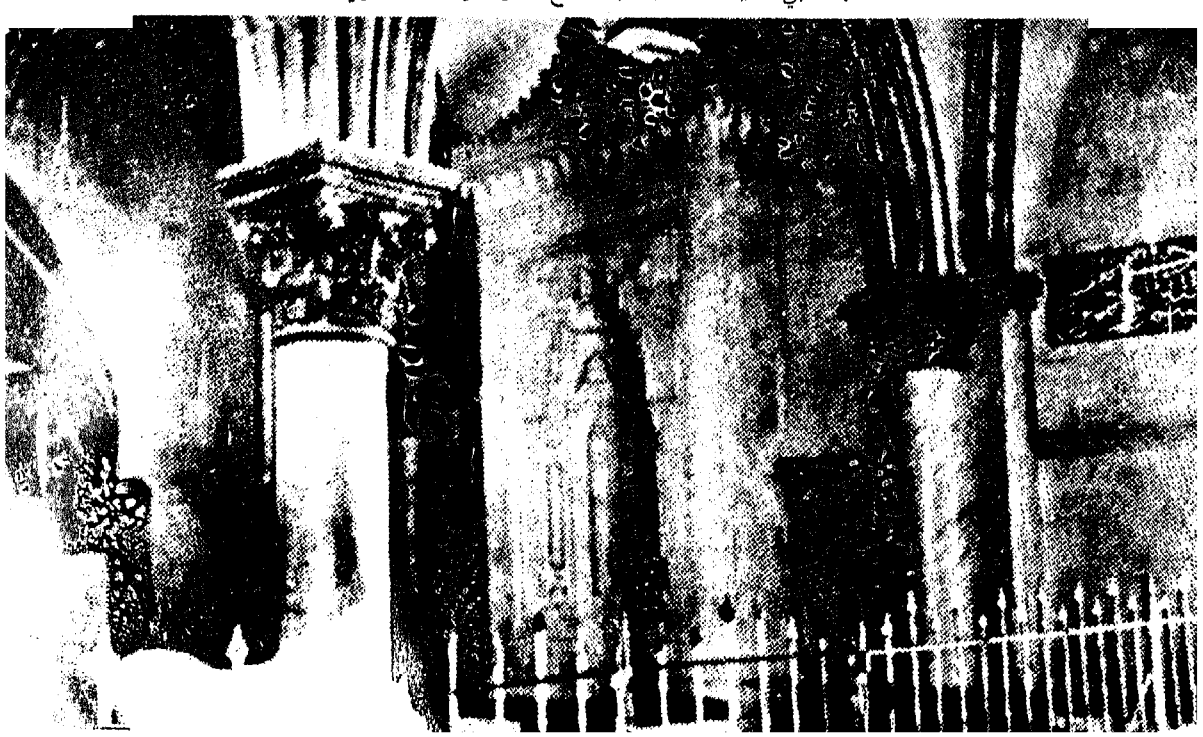

منهم مائة الف ، وسبعون الفاً أصابهم الطاعون وهم سجود[١] وغير هذا الخبر اخبار اخرى مستقاة من العقيدة الدينية .

وجاء في الاخبار ان داود قد أعدّ لبناء بيت المقدس مائة الف بدرة ذهباً ، والف الف بدرة ورقاً ، وثلثماية الف دينار لطلاء البيت .

وهنالك من الاخبار ما يشير الى ان مدينة القدس حين بنيت كان محلّ المسجد في وسطها وهو صعيد واحد والصخرة الشريفة قائمة في وسطه حتى بناه داود .

ويقال لمسجد بيت المقدس (الزيتون) ولا يقال له الحرم على بعض الروايات ، كما يقال للزيتون (طورزيتا) . وهو الجبل الذي قام عليه مسجد بيت المقدس ، واقسم الله في القرآن المجيد « والطور والزيتون وطورسنين وهذا البلد الامين » .

يقول ابو هريرة : ان التين هو طور سيناء وهو مسجد دمشق . والزيتون هو (طور زيتا) اي مسجد بيت المقدس ، وطور سنين حيث كلم الله نبيه موسى[٢] والواضح ان نزول هذه الآية كان قبل قيام مسجد دمشق فلا يمكن ان يكون المقصود (بالتين) — على قول ابي هريرة — هو مسجد دمشق . إما مسجد القدس فقد كان قائماً عند نزول الآية كمسجد توحيد لعبادة الله .

وفي (التين) و (الزيتون) زوايات كثيرة . وقد روى الكثير انهما جبلان وعن ابن عباس : ان التين هو مسجد نوح الذي بني على الجودي . والزيتون هو بيت المقدس — وهناك من يقول انه الجبل الذي صلب عليه المسيح ويسمى بجبل سكوبس ايضاً . وعن الضحاك : ان التين هو المسجد الحرام . والزيتون المسجد الاقصى . وطور سينين يعني الجبل الذي كلم الله عليه

(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل — للقاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ١٠٤
(٢) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ٧

موسى وان سينين وسيناء واحد[١] .

ويستدل من الأقوال التي تنسب بناء المسجد لداود لأول مرة ، ان هـذا المسجد قد بني على اساس قديم ولم يكن داود المؤسس الاول وانما كان داود مجدداً اذ هناك من يقول بان الصخرة التي سمي المسجد باسمها هي الصخرة التي كان يذبح عليها ابراهيم عليه السلام القرابين لله .

ومسجد الصخرة هذا هو المسجد الذي أمر الخليفة عمر بن الخطاب (ض) ببنائه سنة ٦٨٥ وتم في نحو سبع سنوات .

وتزيد الاخبار التأكيد بأن باني هيكل المسجد ببيت المقدس لم يكن غير داود ، وتقول بان داود قد ابتاع من ارنان اليبوسي ارضه الواقعة على تل (موريا) وهي البقعة التي يقوم عليها الآن الحرم القدسي ، وكانت قبل ذلك بيدراً وشرع في بناء الهيكل ومات ولم يتمه[٢]

القدس في عهد سليمان

والمعروف ان داود قد اوصى ابنه سليمان بان يعنى بمدينة القدس ويسعى لاتمام بناء الهيكل ، فاستعان سليمان (بحيرام) ملك صور وأمدّه هذا بمهرة الصناع الفينيقيين ، وكان لدى (حيرام) هذا عدد كبير من مهرة الصناع الذين يحتاج اليهم سليمان لبناء المدينة والهيكل .

ويقول جيمس هنري برستيد: ولربما كان الصناع الذين زخرفوا مدينة صور هم الذين اشتغلوا في زخرفة هيكل (اورشليم) .

ويظهر ان هذا الهيكل كان فخماً بحيث ان الخشب المستعمل فيه كان قد استورد من صور ايضاً وأمدّه به حيرام الملك ، أما الطراز فيذهب المؤرخون الى انه كان طرازاً كنعانياً ، وقد خص هذا الهيكل باقامة الطقوس الدينية ، وتم بناء الهيكل في سنة ١٠٠٧ ق.م

---

(١) مجمع البيان – سورة التين – الآية ١ – ٢ .

(٢) تاريخ القدس – عارف باشا العارف ص ١٦ مط دار المعارف بمصر .

واتسعت القدس في زمن سليمان فبنى فيها الدور وشيد القصور واتسع ملكه وامتد من الفرات الى تخوم مصر فعمرت القدس في زمانه بحيث باهت الحواضر والمدن الكبيرة واشتهر الهيكل وقرن اسمه باسم سليمان وسمي بهيكل سليمان .

ومن آثار سليمان البناء الكائن تحت المسجد الاقصى ، وبرك سليمان الواقعة الى الجنوب من بيت لحم[1] وقيل انه لما رفع سليمان يده من البناء بعد الفراغ منه على ما ذكر القاضي مجير الدين واحكامه الهيكل جمع الناس واخبرهم انه مسجد لله تعالى وهو الذي أقره ببنائه ، وان كل شيء فيه لله تعالى وان داود عهد اليه ببنائه واوصاه بذلك .

واضافة الى كل ذلك قد احرز النظام المركزي تقدماً كبيراً في عهد سليمان

---

(١) تاريخ القدس ص ١١ مط المعارف بمصر .

مخطط هيكل سليمان حتى سقوط اورشليم سنة ٥٨٦ م

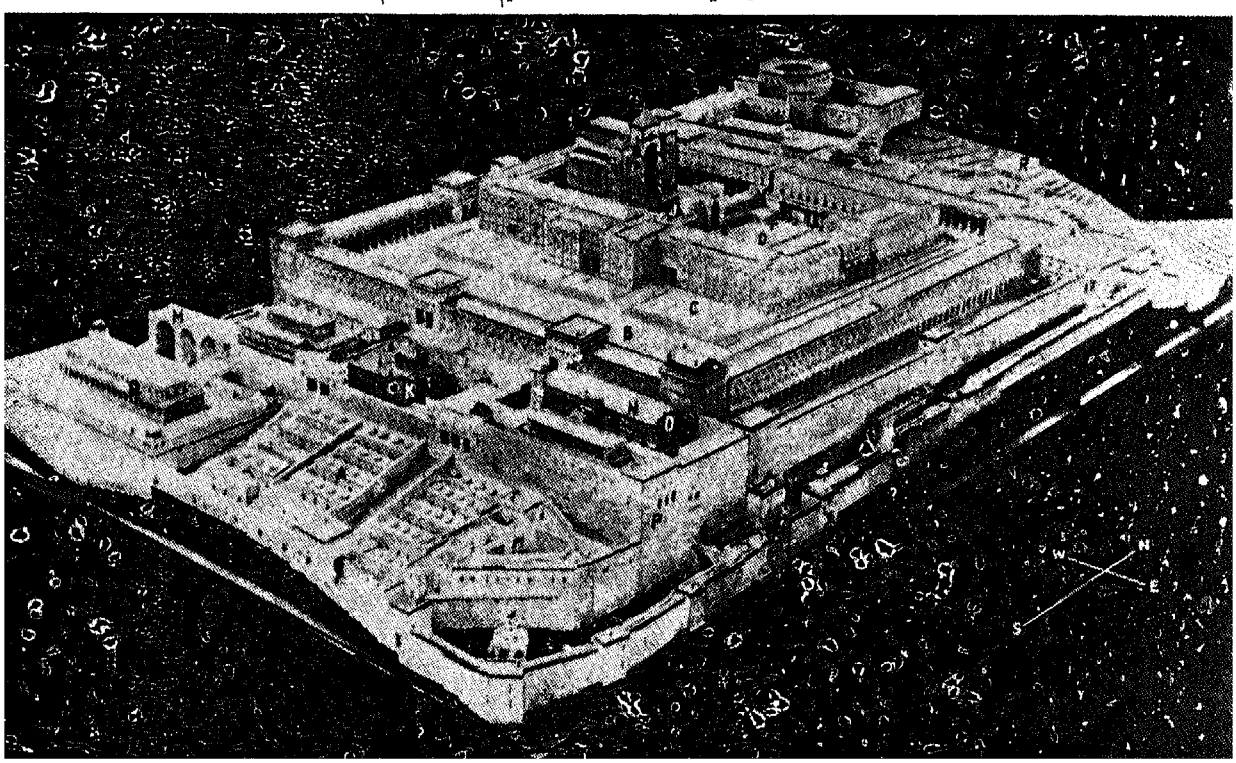

وازداد عدد موظفي البلاط الذين يعملون الى جانب الملك في ادارة المملكة كما جاء في (تاريخ الحضارات العام) وقد جاء في التوراة ان سليمان « جعل النقد في اورشليم عادياً كالحجارة »[١]

ويقول تاريخ الحضارات العام : وقد استخدم سليمان ثرواته لا لتقوية جيشه فحسب بل لتجميل عاصمته ايضاً فاقام على رابية (صهيون) الهيكل و (بيت الملك) الذي اكمله بقصر للملكة التي قيل عنها أنها اميرة مصرية ، ولكن التنقيب عن الآثار لم يتوصل الى اظهار هذا او ذاك من الابنية ، ولذلك فان كل محاولة لتحقيق تصميمها تكون مجرد اجتهاد[٢]

والامر الذي عده التاريخ من البدهيات بعد بناء الهيكل والبرك والقصور الفخمة هو الاسراف الذي بدا في حياة البلاط في عهد سليمان فقد عرفت المدينة فيما عرفت الزخرفة بالذهب المطعم بالعاج والحجارة المنحوتة ، وخشب الارز الذي جهزه الملك حيرام لسليمان . وبناء المراكب التي استخدمها سليمان في خليج العقبة لتحويل جانب من التجارة مع الجزيرة العربية الى القدس بعد ان كانت مصر قد احتكرتها لنفسها .

وحين مات سليمان انقسمت البلاد الى مملكتين : يهوذا وعاصمتها (اورشليم) التي التحق بها سبطان فقط . واسرائيل . وعاصمتها (السامرة) التي التحق بها الاسباط العشرة الاخرى .

وهناك من المؤرخين من يذهب الى ان سليمان لم يكن يهودياً وانما كان آشورياً وهو (شلمناصر) الذي حوّر اسمه الاسرائيليون فسموه سليمان[٣] وعرف بعد ذلك بهذا الاسم .

---

(١) تاريخ الحضارات العام ج ١ ص ٢٦٦ منشورات عويدات – بيروت .
(٢) المصدر المتقدم ص ٢٦٧ .
(٣) اسطورة الشعب المختار – ترجمة الدكتور اكرم فاضل ص ٥ – وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

٦٤ ـــــــ

ولكنها عادت من جديد لتكون بلداً مقدساً وبيتاً من بيوت الله العظمى في عقيدة الاسلام وعهوده التاريخية حتى اليوم .

فضيلة القدس في الإسلام

في احد الفصول المتقدمة من هذا البحث اشارة الى الاسباب والعلل التي جعلت الاسلام يعنى بفلسطين عموماً ويسميها بالارض المقدسة ويعنى (باورشليم) خصوصاً منذ أن اطلق عليها اسم (يبوس) او (ايلياء) ويسميها (بالقدس) ثم يعتبرها اولى القبلتين وثالث الحرمين ، وتأكيداً لما مر فمن المستحسن اعادة القول بان الاسلام كان يؤمن بما جاء به الانبياء من قبله ويقدس الرسل الذين بشّروا بدعوتهم واعتبر الاسلام ان ما جاء به كل واحد من أولئك الأنبياء انما جاء به من عند الله ، لذلك حق على الاسلام ان تحوط أولئك الانبيـــاء والرسل بهالة من التقديس ، ويمنح الارض التي عاش الانبياء فيها ودفنوا في تربتها الحرمة الكاملة ، والمحبة الخالصة ، ولما كانت فلسطن ــ او القدس بصورة خاصة ــ مهبط جمهرة من عظماء اولئك الانبياء ومؤسسي اول ديانة تربط الانسان بالله وتوجه وجهه اليه فقد خصها القرآن الكريم وخصته الروايات والاحاديث الاسلامية بعناية مفرطة واضفت الشريعة الاسلامية على هذه المدينة الشيء الكثير من القدسية التي اضفته على مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وكل غلو جاء في الاحاديث والاخبار عن القدس . وكل رواية بولغ في مبناها ومغزاها وسردها حتى التي لا يهضمها المنطق والعقل فهي دليل على قيمة هذه المدينة ومكانتها وفضيلتها . اذ لولا تلك الاهلية والجدارة والفضيلة التي تتمتع بها القدس لما خصت بكل تلك الاخبار والاحاديث والقصص ، والاساطير ، المعقول وغير المعقول منها .

فمن هذه الاخبار انه لما خرج نوح من السفينة بادر الى جثة آدم ودفنها ببيت المقدس[١] .

وفي رواية ان قبر آدم كائن في مغارة بين بيت المقدس ومسجد ابراهيم الخليل ، ورجلاه عند الصخرة ، ورأسه عند مسجد ابراهيم الخليل .

وان سفينة نوح طافت بالبيت الحرام – أي مكة المكرمة – اسبوعاً ثم طافت ببيت المقدس اسبوعاً .

وقد رووا ان السفينة سارت حتى بلغت بيت المقدس فوقفت ونطقت وقالت :

« يا نوح هذا موضع بيت المقدس الذي يسكنه الانبياء من اولادك[٢] »

ومثل هذه الروايات الشيء الكثير الذي يثبت للقدس فضيلتها التي لولاها لما جاز ان تحاك عنها الاساطير وتحكى الحكايات التي تتعارض والتاريخ المادي .

والفضيلة الحقة التي خصت بالقدس تتجسم في واقعها ، وان واقعها هو الذي تبانت عليه الاخبار المدروسة وما سلم به العلم والعقل ونص على فضيلته القرآن الكريم واعتبره الدين الاسلامي داخلاً في صلبه .

فتواتر الاخبار بان في المغارة الغربية وتحت المسجد العتيق ستين نبياً منهم عشرون نبياً مرسلاً لايتنافى مع المعقول . ولا فيه ما يغاير الواقع . أو يستدعي التشكيك .

ومثل هذا ما روي عن (مقاتل بن سليمان) عن بيت المقدس اذ قال : (ما فيه موضع شبر الا وقد صلى عليه نبي مرسل) .

والمروي عن ابي ذر (ض) انه قال : قلت يا رسول الله أيّ مسجد وضع في الأرض اولاً ؟ قال : المسجد الحرام .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٤ مط لجنة نشر الثقافة الاسلامية – القاهرة .
(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ٢٢ .

قال : قلت ثم اي مسجد ؟

قال : المسجد الاقصى .

قلت : وكم بينهما ؟

قال : أربعون سنة .

ثم قال : « فاين ادركتك الصلاة فصلّ فان الفضل فيه »

وهذا وحده يكفي تثميناً لفضيلة القدس ومكانتها في العقيدة الاسلامية ، فقد كانت ضياعها اول مستوطن لأبي الأنبياء ابراهيم الخليل ، فحين جاء ابراهيم من مصر أقام (بالسبع) فاحتفر به بئراً ، واتخذ به مسجداً فكان ماء تلك البئر معيناً وكانت غنمه تردها ، وحين أوذي ابراهيم غادر (السبع) ونزل بناحية من ارض فلسطين بين (الرملة) و (ايلياء) والبلد يقال له قَط او قِط على ما ذكر ابن جرير الطبري .

ومما يزيد من فضيلة القدس ما ذكرته بعض الروايات وعلى الاخص التوراة بان الذبيح لم يكن اسماعيل كما هو عليه الغالب من المسلمين وان هذا الذبح لم يجر بمكة المكرمة وانما كان الذبيح اسحاق ، وان موضع الذبيح كان على صخرة بيت المقدس[1] .

ثم ان قبر موسى واقع في جوار بيت المقدس ، والمشهور ان مدفن موسى واقع شرقي بيت المقدس وان بينه وبين بيت المقدس مرحلة واحدة ، ودربه عسر لكثرة الوعر وعليه بناء وداخله مسجد ؛ وعن يمينه قبة معقودة بالحجارة على ما وصف القاضي مجير الدين الحنبلي في القرن التاسع الهجري .

ثم هي بعد ذلك مدفن داود فقد قيل ان مدفنه كان بالكنيسة المعروفة

---

(١) التكوين ٩ – ١٠ الاصحاح الثاني والعشرون – وموسوعة العتبات المقدسة قسم مكة المكرمة ، ج ١ ص ٢٥ .

بالجيسمانية شرقي بيت المقدس في الوادي . وقال الآخرون بل ان قبره كان بكنيسة صهيون وهي التي بظاهر القدس .

وفي بعض الروايات عن الليث عن يونس عن الزهري قال : لم يبعث الله منذ هبط آدم الى الارض نبياً الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس[١] . ومع ما في هذه الرواية من معارضة لمن يقول بان باني مدينة القدس ومخططها الاول كان (ملكيصادق) او حفيده فهي تعرب عن عظمة هذه المدينة عند الاسلام بحيث يجوز ان ينسب لها الرواة مثل هذه الروايات لغرض التقديس .

ومما روي زيادة في توجيه الانظار الى مكانة القدس ومقامها عند الله ان سليمان بن داود كان يتعبد في بيت المقدس السنة والسنتين . والشهر والشهرين ! واقل من ذلك واكثر ! ! فيدخل فيه طعامه وشرابه[٢]

وفي الاخبار : ان سليمان حين وقف في مؤخرة المسجد دعا ربه وقال :

« اللهم من أتاه من ذي ذنب فاغفر له ، اوذي ضرّ فاكشف ضرّه »

وقيل فلا يأتيه احد — اي يأتي المسجد — الا اصاب من دعوة سليمان

وفي روايات الاسلام رواية اخرى اوردها القاضي مجير الدين تقول : ان سليمان حين انتهى من بناء المسجد قال :

اللهم اني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال

١ — ان لا يدخل اليه مذنب لا يعمده الا لطلب التوبة ان تتقبل منه توبته . وتغفر له ذنبه .

٢ — ولا يدخله خائف لا يعمده الا لطلب الأمن ان تؤمنه من خوفه وتغفر له ذنبه .

---

(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ١٧٢.
(٢) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ١١٩ .

٣ ــ ولا يدخله سقيم ولم يعمده الا لطلب الشفاء ان تشفي سقمه وتغفر له ذنبه .

٤ ــ ولا يدخله مقحط لا يعمده الا للاستسقاء ان تسقي بلاده .

٥ ــ وان لا تصرف بصرك عمن دخله حتى يخرج منه .

وعن النبي (ص) انه قال : ان سليمان بن داود سأل ربه ثلاثاً فاعطاه

مسجد قبة الصخرة

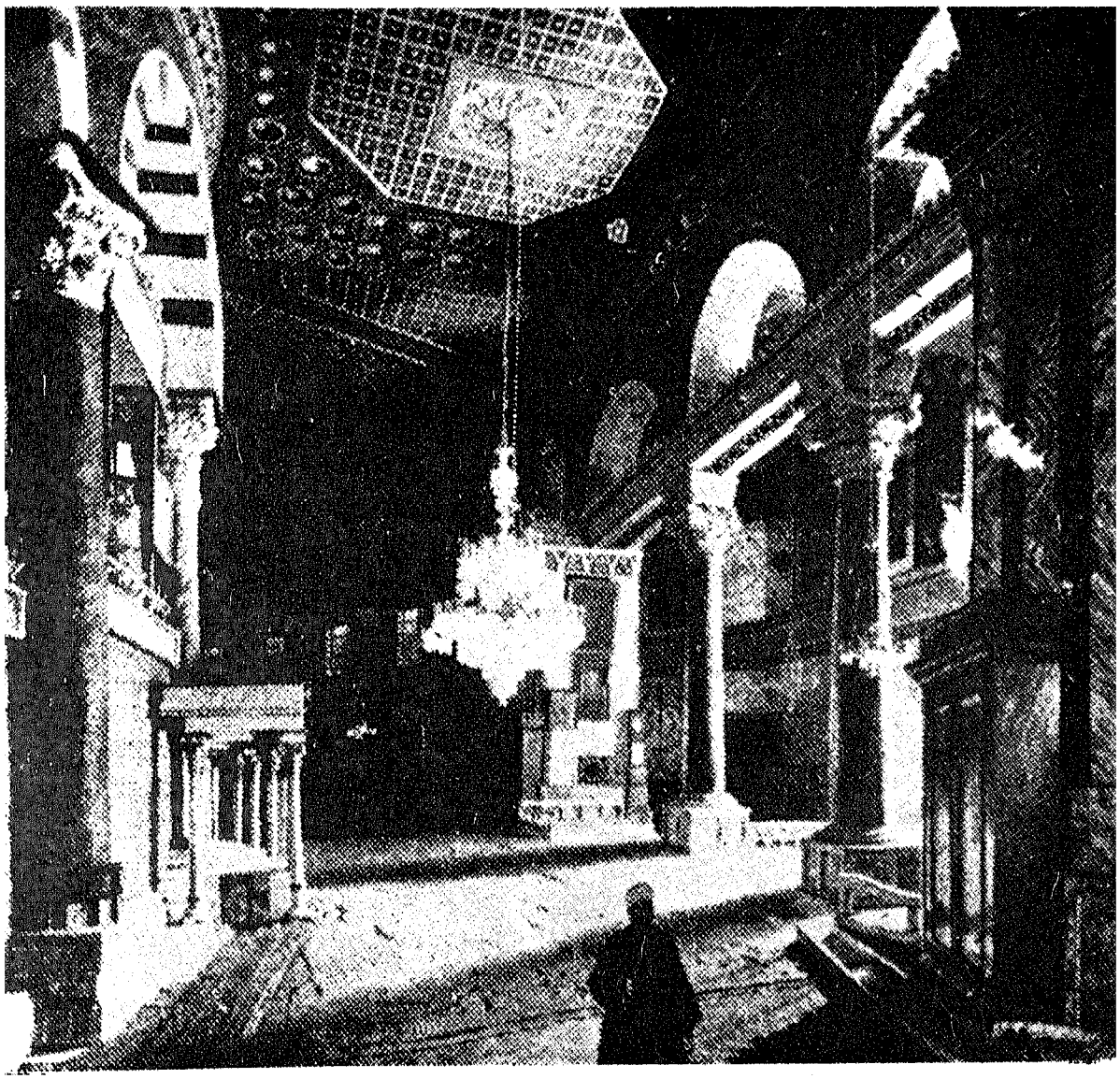

اثنتين ونحن نرجو ان يكون قد اعطاه الثالثة .

سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه اياه ، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فاعطاه ، وسأله ايما رجل يخرج من بيته لا يريد الا الصلاة في هذا المسجد ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته امه ، ونحن نرجو ان يكون قد اعطاه اياه .

وجاء في بعض الاخبار : ان سليمان قد عصى عليه مرة فتح باب بيت المقدس فحار في أمره واذا بشيخ من جلساء ابيه يقبل عليه وهو شيخ طاعن في السنّ فيستجلي خبره ، ويرى حيرته فيقول له :

ــ ألا أعلمك كلمات كان ابوك يقولها عند كربه فيكشف الله عنه ؟

قال ــ : بلى .

قال ــ قل : اللهم بنورك اهتديت ، وبفضلك استغنيت ، وبك اصبحت وأمسيت ، ذنوبي بين يديك ، استغفرك واتوب اليك يا حنان يا منان .

ولذلك يستحب على ما تقول هذه الرواية ان يدعو الزائر وغيره بهذا الدعاء إذا دخل من باب الصخرة ، وكذلك من باب المسجد .

والمعروف ان هذا الدعاء أثير عند الداعين في صباح كل يوم ومسائه في مشارق الاسلام ومغاربه .

واشارت الآية الكريمة الى (القدس) باسم القرية من قول الله عز وجل « وإذ قُلنا ادخلوا هذه القرية فكُلوا منها حيثُ شئتم رغداً وادخلوا البابَ سُجّداً ، وقولوا حِطّةٌ نغفر لكم خطاياكم وسنزيدُ المُحسنين » .

وقد اجمع المفسرون على ان المراد بالقرية هاهنا : (بيت المقدس) ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر « ادخلوا الارض المقدّسة » و « كُلوا منها حيثُ شئتم » أي بما شئتم من طعام القرية بعد المنّ والسلوى ، وقد قيل ان هذه إباحة لهم منه لغنائمها وتملّك اموالها إتماماً للنعمة عليهم .

« وادخلوا البابَ » يعني الباب الذي أمروا بدخوله ، وقيل هو باب

(حطّة) من بيت المقدس[1]

وليست كل (قرية) جاء اسمها في القرآن الكريم تعني بيت المقدس وان تشابه المعنى واوجب الالتباس . ففي قول الله عز وجل « واضربْ لهم مثلاً أصحابَ القريةِ إذ جاءها المرسَلون » فقد اشتهر عن كثير من السلف والخلف كما يقول ابن الاثير في (البداية والنهاية) ان هذه القرية هي انطاكية ولكن هناك من يعارض هذا القول لأن اهل هذه القرية التي يشير اليها القرآن الكريم قد أهلكوا بتكذيبهم الرسل في حين ان اهل انطاكية كانوا قد آمنوا واتبعوا رسل المسيح من الحواريين اليهم . .

وخص الله القدس بالبركة في قوله تعالى « ونَجّيناه ولُوطاً الى الارضِ التي باركنا فيها لِلعالمين » وهي بيت المقدس كما يقول بعض المفسرين لان بها مقام الانبياء . وقد نجى الله ابراهيم ولوطاً وهو ابن اخي ابراهيم وكان قد آمن بإبراهيم . وفي هذه الآية بيان نعمة الله على ابراهيم .

وقد نص القرآن صراحة بفضيلة الارض المقدسة كقوله تعالى : « وإذ قالَ موسى لقومِهِ يا قومُ ادخلوا الارضَ المقدّسة » .

ونصّ كناية ، كقوله« وآويناهما الى رَبوَةٍ ذاتِ قرارٍ ومعين»قال ابن عباس : هي بيت المقدس .

وكقوله تعالى « في بيوتٍ أذنَ اللهُ ان تُرفعَ ويُذكرَ فيها اسمُه »

فقيل انه يعني : بيت المقدس كما روى ذلك الطبرسي في تفسيره ،

وفي بركات بيت المقدس قال ابن عباس : بيت المقدس عليه الطل والمطر مذ خلق الله السنين والايام .

وفي مسنَد الامام احمد من حديث أمامة قال : قال رسول الله (ص) لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم

---

(١) مجمع البيان للطبرسي سورة البقرة الآية ٥٨ مط شركة المعارف الاسلامية .

من خالفهم . ولا ما أصابهم من اللأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك . قالوا يا رسول الله وأين هم ؟

قال — ببيت المقدس واكناف بيت المقدس

ومما قيل عن رسول الله انه قال : قال الله تعالى « ياروشليم — يريد القدس — انتِ مقدسة بنوري . وفيك المحشر والمنشر ، أزفّك يوم القيامة كما تزف العروس الى بعلها . ومن دخلك استغنى عن الزيت والقمح » .

وعن أنس قال : قال رسول الله (ص) من زار بيت المقدس محتسباً اعطاه الله أجر الف شهيد .

وعنه (ص) من زار عالماً فكأنما زار بيت المقدس

وروي عن جرير بن عثمان وصفوان بن عمرو انهما قالا : الحسنة في بيت المقدس بألف والسيئة بالف .

وقال وهب بن منبه : اهل بيت المقدس جيران الله وحق على الله ان لا يعذب جيرانه .

وفي فضل الصلاة ببيت المقدس . والصوم فيه . والمبيت عنده . والدفن في ارضه . آيات كثيرة تزخر بها الكتب الاسلامية وتتلخص فضيلة القدس في عقيدة الاسلام ! بأن :

الله قد كلم موسى في ارض بيت المقدس .

وتاب الله على داود وسليمان في ارض بيت المقدس

وبشر الله زكريا بيحيى في ارض بيت المقدس

وولد المسيح وتكلم في المهد . وانطلقت دعوته . وانزلت عليه المائدة في ارض بيت المقدس .

ورفع الله المسيح الى السماء من بيت المقدس

وينزل المسيح من السماء الى الارض ببيت المقدس

وماتت مريم ببيت المقدس

وهاجر ابراهيم من كوثا الى بيت المقدس

وصلى النبي (ص) زماناً الى بيت المقدس قبل ان يصلي الى المسجد الحرام وأسري بالنبي (ص) الى بيت المقدس

وبيت المقدس بعد هذا مثوى الرسل والانبياء والصالحين وليس من المهم

ان تكون هناك اخبار تشوبها بعض المبالغات وتحف بها بعض الاساطير ولكن مثل هذا لا يستطيع ان ينفي عظمة القدس وفضيلتها او يقلل من شأنها في معتقد جميع اهل الكتاب وعلى الاخص المسلمين ولا سيما القرآن المجيد الذي يرجع اليه الاسلام في جميع معتقداته .

مسقط رأس مريم حسب التواتر السائد ويقع قرب باب سنت استيفان والمعروف في القرون الوسطى بباب الست مريم و هو الآن كنيسة تدعى بكنيسة (سنت انا) وقد بنيت في زمن الصليبيين »

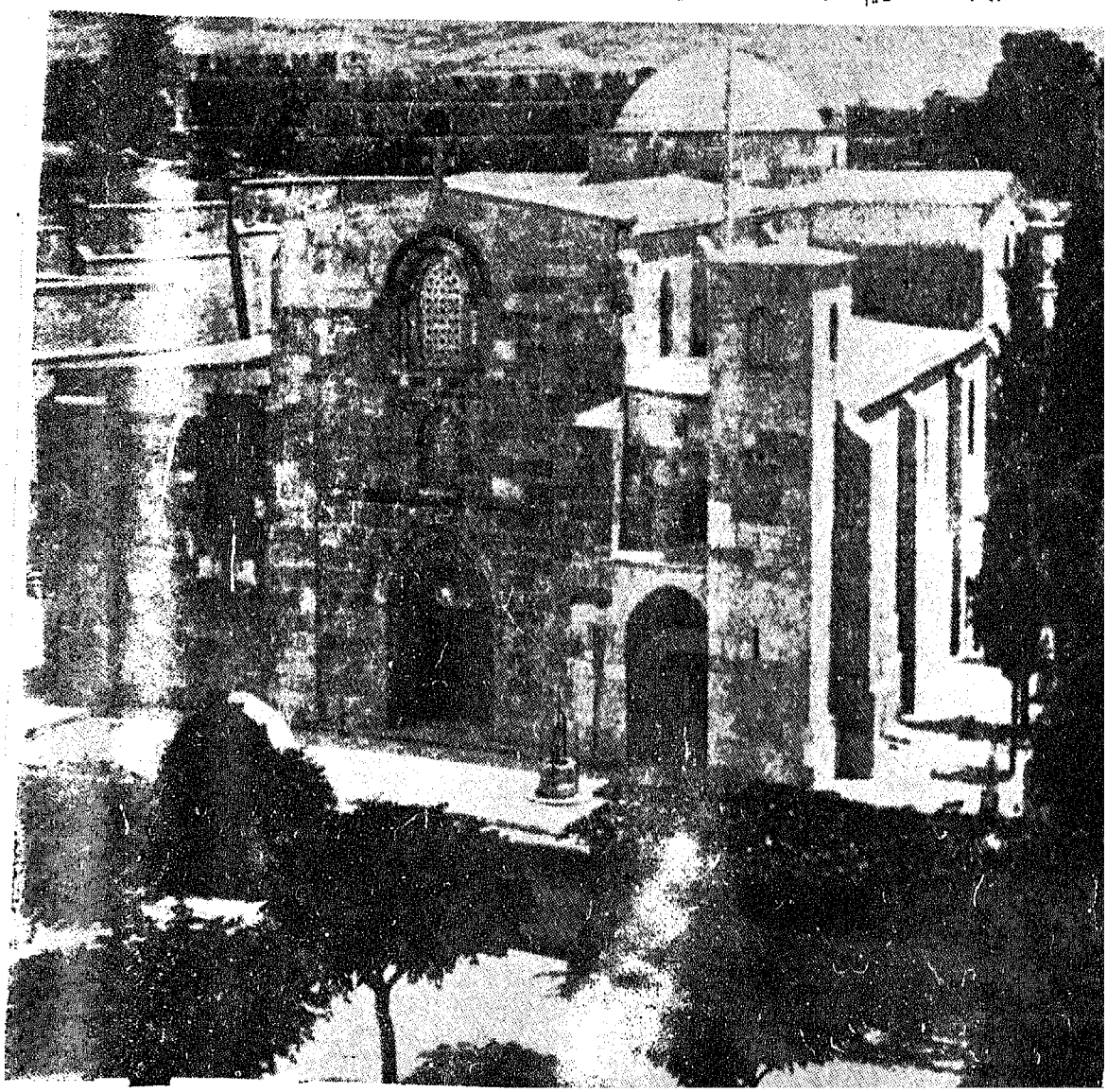

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أول عهـــد القدس في الاسلام

— القبلة —

ان اول عهد القدس بالاسلام أو أول عهد الاسلام بالقدس ابتدأ بالاعتقاد بمكانة هذه المدينة والمسجد الاقصى والصخرة منه على الاخص وقدسيتها عند الله ثم اتخاذ الصخرة قبلة في الصلاة بصفتها القبلة التي صلى عندها الانبياء من ايام يوشع بن نون وظلت قبلتهم الى زمان رسول الله (ص) وقد صلى اليها رسول الله (ص) اول ما صلى ، وكان يجعل الكعبة بين يديه في مكة ، ولما هاجر أمر بالصلاة إلى بيت المقدس ، فصلى إليها ستة عشر ، وقيل سبعة عشر شهراً ثم حولت القبلة الى الكعبة . وهي قبلة ابراهيم ، وكان ذلك في شعبان سنة اثنتين للهجرة في وقت صلاة العصر[1] .

وفي هذا الصدد نزلت الآية الكريمة « قد نرى تقلّبَ وجهكَ في السماء فلنُوَلّينكَ قبلةً ترضاها فوَلّ وجهكَ شطرَ المسجدِ الحرام وحيثما كنتم فوَلّوا وجوهكم شطرَه »

ومع ذلك فلم يفقد المسجد الاقصى اهميته حين تحولت القبلة عنه الى المسجد الحرام فقد وردت عنه احاديث كثيرة اشير الى بعضها في فصول سابقة فضلاً عن النصوص القرآنية الكريمة .

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير القرشي ج ١ ص ٣٠٨ مط السعادة بمصر .

روى ابن خزيمة في صحيحه : ان النبي قال :

صلاة في المسجد الحرام افضل مما سواه من المساجد بمائة الف صلاة . وصلاة في مسجد المدينة افضل من الف صلاة فيما سواه ، وصلاة في بيت المقدس افضل مما سواه من المساجد بخمسماية صلاة[١]

وفي مثل هذا المضمون روي عن النبي انه قال « لا تشدّ الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا – يعني به المدينة – والمسجد الاقصى[٢] .

الاسراء

والاسراء الى بيت المقدس من اهم ما حظيت به القدس من التقديس والفضيلة عند الاسلام وفي صميم عقيدته فلم تقتصر القدسية على بيت المقدس بكونه اول قبلة اتخذها الاسلام ، وانما خصت بانها كانت نهاية المطاف من الاسراء ومبتدأ عروج النبي (ص) الى السماء في معتقد الاسلام ، سواء كان هذه الاسراء والعروج روحياً كما يقول به البعض او جسدياً كما هو عليه الآخرون .

وفي تفسير الطبرسي للآية الكريمة « سبحانَ الذي أسرى بعَبدِه ليلاً من المسجدِ الحرامِ الى المسجدِ الاقصى الذي باركنا حَولَه » ان (سبحان) كلمة تنزيه وابراء لله عزّ اسمه عما لا يليق به من الصفات ، وقد يراد به التعجب ، يعني : سبحان الذي سيّر عبده محمداً (ص) ، وهو عجيب من قدرة الله تعالى وتعجيب ممن لم يقدر الله حق قدره واشرك به غيره .

وسرى بالليل ، وأسرى بمعنى ، وقد عُدّيَ هنا بالباء ، والوجه في

---

(١) انها لذكرى – شاكر البدري مط دار البصري – بغداد .
(٢) المصدر المتقدم .

التأويل انه اذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجباً . فقيل (سبّح) اي عجب . و (ليلاً) قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة . (من المسجد الحرام) وقال اكثر المفسرين :

أسريَ برسول الله (ص) من دار ام هاني أخت علي بن ابي طالب وزوجها هبيرة بن ابي وهب المخزومي . وكان نائماً في تلك الليلة في بيتها[1]

وفي رواية عن ام هاني ابنة ابي طالب : ما أسري به الا من بيتنا . نام عندنا تلك الليلة . صلى العشاء ثم نام . فلما كان قبل الفجر أنبهناه للصبح . فقام . فلما صلى الصبح قال :

« يا ام هاني . لقد صليت معكم العشاء كما رأيت بهذا الوادي ثم قد جئتُ بيت المقدس فصليت فيه . ثم صليتُ الغداة معكم » وتصلح هذه الرواية وما بعدها لأن تكون سنداً لمن يقول بالعروج الروحاني

وأنزل الله عز وجل : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناكَ إلا فتنةً للناس[2] »

وقول الله عن الاسراء (ليلاً) معناه بعض الليل . على تقليل وقت الاسراء

وعن الحسن : صلى النبي (ص) المغرب في المسجد الحرام ثم أسريَ به الى بيت المقدس في ليلة . ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام[3] .

والمراد بالمسجد الحرام هنا مكة . وان مكة والحرم كلها مسجد .

وقال الحسن وقتادة : كان الاسراء من نفس المسجد الحرام الى (المسجد الاقصى) يعني بيت المقدس . وانما قال الاقصى . لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام (الذي باركنا حوله)[4] وقد مرّ بنا المراد من قوله تعالى

---

(١) مجمع البيان للطبرسي — سورة الاسراء . الآية (١) ص (٣٩٦) مط شركة المعارف الاسلامية .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٩٨ — ١٩٩ مط لجنة نشر الثقافة القاهرة .

(٣) تفسير البيان للطوسي — سورة الاسراء الآية (١) ص ٤٤٦ مط دار الاندلس — بيروت .

(٤) مجمع البيان للطبرسي — سورة الاسراء الآية (١) ص ٣٩٦ مط شركة المعارف الاسلامية .

(الذي باركنا حوله) أي جعلنا البركة فيما حوله بأن جعلناه مقر الانبياء ، ومهبط الملائكة (عن مجاهد) وبذلك صار البيت مقدساً عن الشرك لانه لما صار متعبداً للانبياء ، ودار مقام لهم تفرق المشركون عنهم فصار مطهراً من الشرك ، اما التقديس فهو التطهير وقد مر كذلك ذكره . وقد اجتمعت فيه بركات الدين والدنيا

اما وسيلة الاسراء فهي دابة اكثر الرواة من وصفها . وجاء في كتاب الأنس الجليل على لسان النبي (ص) قال : أُتيت بالبراق ، وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء .

وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى فقال : قال النبي (ص) : وخرج معي جبرائيل لا يفوتني ولا افوته حتى انتهى بي الى بيت المقدس فانتهى (البراق) الى موقفه الذي كان يقف فربطه جبرائيل ، وكان مربط الانبياء قبل رسول الله (ص)[١]

وحين بلغ النبي (ص) بيت المقدس كما تقول الرواية صلى هناك . وقد تلقاه ابراهيم(ع)فبشر له في رهط من الانبياء، وفي رواية قال الرسول (ص) ورأيت الانبياء جُمعوا لي فرأيت ابراهيم ، وموسى ، وعيسى فظننت انه لا بد ان يكون لهم امام فقدّمني جبريل حتى صليت بين ايديهم وسألتهم فقالوا بعثنا بالتوحيد[٢] .

احد ارواقة المسجد الاقصى

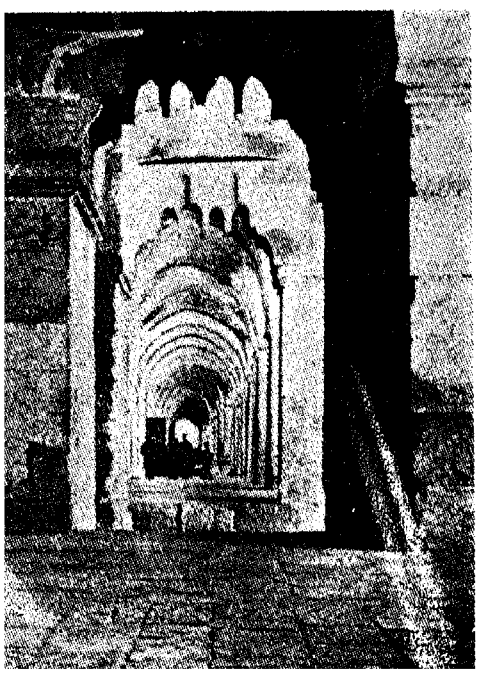

وفي رواية اخرى : قال النبي (ص) :

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٩٨ – ١٩٩ مط لجنة نشر الثقافة – القاهرة .

(٢) المصدر المتقدم

فلما دخلت المسجد اذا بالانبياء والمرسلين قد حشروا الي من قبورهم ، ومثلوا لي وقد قعدوا صفوفاً صفوفاً ينتظروني فسلموا علي ، فقلت :

— يا جبرائيل من هولاء القوم ؟

قال — اخوانك الانبياء والمرسلون ، — ثم قال — : لقد زعمت قريش ان لله شريكاً فاسأل هولاء النبيين : هل كان لله شريكاً ؟

ثم قرأ « واسأل من أرسلنا قَبْلَكَ من رُسُلِنا أجعلنا من دونِ الرحمنِ آلهةً يعبدون » .

وقد قيل ان هذه الآية نزلت على النبي (ص) ببيت المقدس ليلة الاسراء ثم قال النبي (ص) ثم جمعهم جبرائيل وقدمني فصليت بهم ركعتين[1] .

وتقول رواية ابن سعد في الطبقات ثم أخذ جبرائيل بيد الرسول الى (الصخرة) فاقعده عليها ومن هناك ابتدأ عروجه الى السماء .

اما تاريخ الاسراء والعروج فقد كان ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الاول ، وقبل الهجرة بسنة واحدة ومن شعب ابي طالب الى القدس[2] .

العروج إلى السماء

ومن بيت المقدس ومن فوق الصخرة تم العروج الى السماء .

وعرج في الدرجة والسلّم يعرج عروجاً، اي ارتقى ، وعرج في الشيء عروجاً رقي ، وعرج الشيء فهو عريج ، ارتفع وعلا .

وفي التنزيل : تعرج الملائكة والروح اليه ، اي تصعد ، وقيل : معارج الملائكة وهي مصاعدها التي تصعد فيها ، وتعرج فيها ، وقال الفرّاء : ذي

---

(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ١٦٣ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٩٨ — ١٩٩ مط لجنة نشر الثقافة — القاهرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

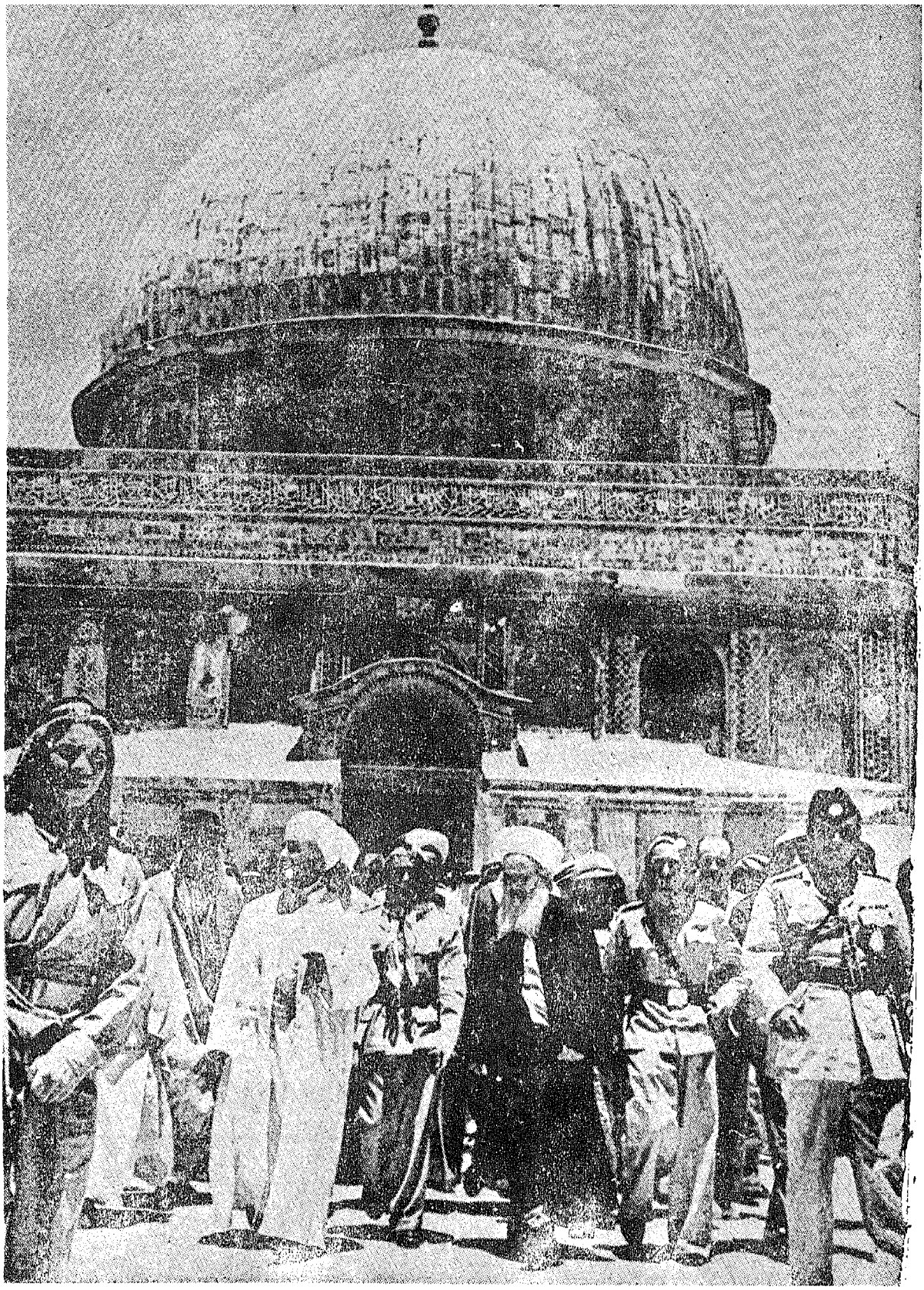

قبة الصخرة المباركة

المعارج من نعت الله لان الملائكة تعرج الى الله ، فوصف نفسه بذلك ، والمعرج : المصعد ، والمعرج : الطريق الذي تصعد فيه الملائكة .

والمعراج : شبه سلم او درجة تعرج عليه الارواح اذا قبضت ، والمعراج السلم ، ومنه ليلة المعراج[1] .

والروايات تشير الى النبي (ص) وقد اسري به ليلاً الى المسجد الاقصى وعروجه الى السماء في تلك الليلة وتصف هذه الروايات ما شاهد النبي في السموات مما لا يدخل ذكره في موضوعنا ثم يسهب الشعراء في وصف المعراج والعروج ويقيم الكثير من المسلمين في ذكرى ليلة المعراج من كل سنة احتفالات بهذه المناسبة تتلى فيها قصة الاسراء والمعراج وما قيل في ذلك من الشعر كقول الشاعر :

ورسول الله قد قـــال لنـــا ليلة المعـــراج لما صعّدَه
وضـــع الله بكتفي يـــده فاحسّ القلب ان قد برّدَه .. الخ

وعند العودة من السماء روى الراوون على لسان النبي (ص) انه قال : ثم حملني جبرائيل حتى انزلني على جبل بيت المقدس ، واذا (بالبراق) واقف على حاله ، في موضعه ، فسميت الله ، واستويت على ظهره ، وعدت الى مكة ، وهناك تحدث النبي (ص) للناس بمسراه هذا الى بيت المقدس ، ووصف لهم الطريق الى المسجد ، كما وصف لهم المسجد وما شاهد فيه ورأى في طريقه الى السماء وعودته الى القدس .

هل كان عروج النبي
روحياً أم جسدياً

وقد جرى في قضية الاسراء والعروج نقاش اشار اليه المفسرون فهناك من يرى بان الاسراء والعروج كان في المنام وان ما رأى النبي لم يكن الا حلماً

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (عرج) مط صادر ودار بيروت .

ويؤيد المؤرخون الذين يعتمدون الأثر والمادة في بحوثهم اولئك القائلين بأن الاسراء والعروج كان روحياً وكان في المنام ، ولهم على ذلك استدلالات تخالف مباني العقيدة اذ ان العقيدة شيء آخر لا يرضخ للفلسفة ولما تبانت عليه القلة من المفسرين والمؤرخين ، لذلك فان عقيدة الاغلبية من المفسرين ترى ان الاسراء والعروج قد جرى في يقظة من النبي (ص) دون منامه ، ولهم في ذلك احتجاجات يوردونها في تفاسيرهم[1] .

ويشير الطبرسي في تفسيره الى هولاء القائلين بالاسراء والعروج الروحي ويتلخص قوله : بان هناك من قال بان الاسراء بالنبي من المسجد الحرام (اي مكة) الى المسجد الاقصى (اي بيت المقدس) في ليلة واحدة ثم رجوع النبي الى مكة في نفس الليلة وقد صلى الصبح في المسجد الحرام كان ذلك في النوم ولم يكن في اليقظة ، وان عروجه من بيت المقدس الى السماء كان عروجاً روحياً اي لم يكن ذلك في اليقظة ، كما يراه اولئك .

اما الشيخ احمد الاحسائي وهو شيخ طائفة الشيخية ومن المتأخرين فهو يرى : ان للانسان جسدين احدهما (هورقليائي) والثاني (صوري) فالاول منهما هو الجسد اللطيف الذي يمثل مادة الانسان الثابتة أي جوهره الاصيل كما يمثل المعدن مادة الشيء المعمول منه ، اما الجسد (الصوري) فهو الذي يتكون من الاجزاء الفضلية ، والكثافات العرضية الموجودة في بدن الانسان وهي كثافات تكدر البدن وتمنع من صفائه ولطافته ، ويعتقد الشيخ احمد ان النبي حين عرج الى السماء في ليلة الاسراء لم يصعد بجسده (الصوري) الكثيف بل صعد بجسده (الهورقليائي)[2] .

وعن عائشة ان عروج النبي كان روحياً .

---

(١) مجمع البيان — سورة الاسراء الآية (١) ص ٤٤٦ دار الاندلس — بيروت .

(٢) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج (٢) مط الارشاد للدكتور علي الوردي وقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويسوق الاغلبية من المفسرين على اختلاف مذاهبهم الادلة المستندة الى العقيدة بأن اسراء النبي وعروجه كان جسدياً وكان في اليقظة وعلى هذا الرأي كان الطبرسي وهو من كبار المفسرين .

وسواء كان الاسراء والعروج في اليقظة وهو ما تعتقد به الاكثرية من المذاهب الاسلامية او كان روحياً وفي المنام كما تقول به الاقلية من المفسرين فان ذلك لا يقلل من اهمية الارض المقدسة وبيت المقدس والصخرة في عقيدة الاسلام والمسلمين قاطبة ، ان لم يضف الى بيت المقدس قدسية اخرى تكفي ان تجعل النبي (ص) محمداً يفكر فيهـــا ، ويشير اليها ، ويهتم بها ، سواء كان اسراؤه وعروجه جسديـــاً ام روحياً .

فتح الإسلام (لايلياء) القدس

الى هنا وكل علاقة الاسلام بالقدس كانت علاقة روحية اقتصرت على تمجيد القدس بالروح والعقيدة ، وحين تم فتح الاسلام للقدس ودخول المسلمين اليها صارت تلك العقيدة طقوساً عملية يقوم بها المسلمون عند دخولهم المسجد الاقصى وزيارة قبور الانبياء فيتبركون بالصلاة في المسجد الاقصى ويؤدون مراسيم الزيارات المأثورة عن الأئمة ، ويتلون الدعوات في بقاعها المباركة ، ويتقربون الى الله في مواضعها المقدسة ، وينزلونها في الاسلام المنزلة الثالثة في التقديس بعد المسجد الحرام في مكة ، ومسجد النبي في المدينة ، بصفتها بيت الله الذي صلى اليه النبي (ص) والمسلمون اول ما صلّوا .

وفي قصة فتحها من قبل جيوش المسلمين روايات تتلخص في حصار المسلمين للمدينة ووقوع بعض المعارك حول اسوارها تحت قيادة ابي عبيدة فقبلت القدس الصلح على شريطة ان يتم ذلك على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (ض) وان يحضر الخليفة نفسه عقد هذا الصلح ، فكتب ابو عبيدة الى الخليفة ابن الخطاب (ض) بذلك ، وتكثر الروايات في كيفية تلقي الخليفة

= اخرجه من (احقاق الحق) لموسى الاسكوئي مط النجف ١٩٦٥ – الفصلين الرابع والخامس .

هذا الطلب ، وجاء في كتاب الانس الجليل : ان عمر بن الخطاب حين تلقى كتاب ابي عبيدة استشار رؤساء المسلمين في أمر حضوره تسليم القدس وتعهده وجاهاً لسكانها المسيحيين ، فقال له عثمان :

ان الله قد أذلّهم ،وحصرهم ،وضيق عليهم ،وهم في كل يوم يزدادون نقصاً وهزالاً ، وضعفاً ورعباً ، فان انت أقمت ولم تسر اليهم رأوا انك بامرهم مستخفّ ، ولشأنهم حاقر غير معظم ، فلا يلبثون الا قليلاً حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا الجزية .

فقال عمر (ض) ما ترون ؟ هل عند احد منكم رأي غير هذا ؟ فقال علي بن ابي طالب (ع) :

— نعم عندي غير هذا الرأي .

قال — ما هو ؟

قال — انهم قد سألوا المنزلة التي فيها الذل لهم والصغار ، وهو على المسلمين فتح ولهم فيه عزّ ، وهم يعطونكها الان في العاجل في عافية ليس بينك وبين ذلك الا ان تقدم عليهم ، ولك في القدوم عليهم الأجر في كـــل ظمأ ومخمصة ، وفي قطع كل واد ، وفي كل نفقة ، حتى تقدم عليهم ، فاذا انت قدمت عليهم كان الأمن ، والعافية ، والصلاح ، والفتح ، ولستُ آمن إن آيسوا من قبولك الصلح منهم ان يتمسكوا بحصنهم فيأتيهم عدو لنا ، أو يأتيهم منهم مدد ، فيدخل على المسلمين بلاء ، ويطول بهم حصار ، فيصيب المسلمين من الجهد والجوع مايصيبهم ، ولعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرشقونهم

المدخل الى القبر المقدس من كنيسة القيامة

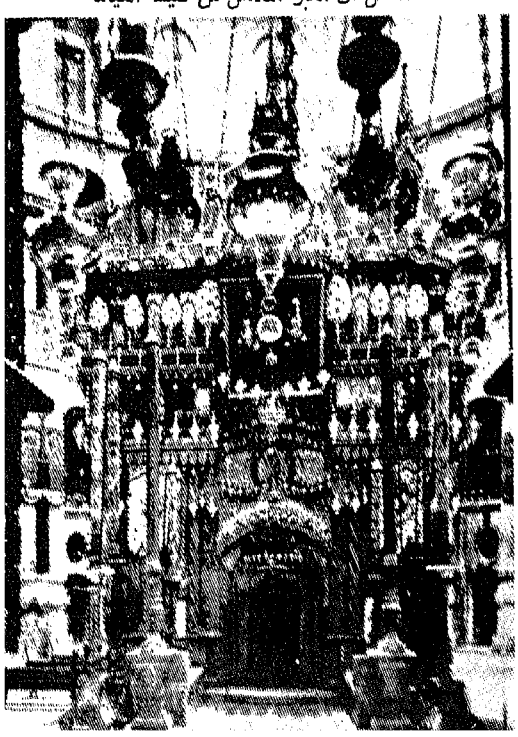

بالنشّاب ، او يقذفونهم بالمناجيق ، فان اصاب بعض المسلمين تمنيتم انكم افتديتم قتل رجل من المسلمين بمشرك الى منقطع التراب وكان المسلم لذلك من اخوانه اهلا »[١] .

و اخذ عمر (ض) بهذا الرأي و استخلف علي بن ابي طالب (ع) مكانه في المدينة وسار نحو ارض الشام . وصالح أهل (ايلياء) بالجابية وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتاباً واحداً ما خلا اهل (ايلياء) فقد خصوا بعهد مستقل .

وكان ذلك في سنة ٦٣٦ م الموافق ١٥ هجرية ، وكان قيل بل انه كان في ربيع الآخر سنة ١٦ هجرية واستقبل الخليفة عمر استقبالاً عظيماً من لدن البطارقة والقسس والرهبان وعلى رأسهم (صفرونيوس) كبير البطارقة[٢] .

وعن ابي مريم مولى سلامة . قال : شهدت فتح ايلياء (القدس) مع عمر رحمه الله فسار من (الجابية) فاصلاً حتى يقدم ايلياء ثم مضى حتى يدخل المسجد . وكان اول ما طلب ان يراه هو مسجد داود ، فيقول ابو مريم. ثم مضى نحو محراب داود ونحن معه فدخله ، ثم قرأ سجدة داود فسجد وسجدنا معه[٣] .

وحين زار عمر الصخرة رفع عنها الادران ، وأمر ببناء مسجد عليها وسمي (بمسجد عمر) وزار كنيسة القيامة ، واباح الدخول الى هذه المدينة للزوار من مختلف الاديان واستثنى من اولئك اليهود كما جاء في العهد الذي سيأتي .

نص العهد الذي اعطاه الإسلام للقدس

ومن نصوص العهد الذي اعطاه الخليفة عمر بن الخطاب (ض) لاهل

---

(١) كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ٢٢١ – ٢٢٢.
(٢) انها لذكرى – شاكر البدري مط دار البصري – بغداد .
(٣) تاريخ الامم والملوك – الطبري ج ٣ ص ١٠٦ مط الاستقامة .

القدس ومقارنته بالعهد الذي اعطي لاهل الشام تتبين مكانة القدس في الاسلام وعقيدته باجلى صورها ويكفي هذا العهد وحده ليحكي نظرة الاسلام للقدس ، ومنزلة القدس في صلب الديانة الاسلامية ومعتقداتها ، واهميتها واهمية ساكنيها من المسيحيين عند المسلمين باستثناء اليهود .

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل (إيلياء) من الامان ، أعطاهم أماناً لانفسهم ، واموالهم ، ولكنائسهم ، وصلبانهم ، وسقيمها ، وبريئها ، وسائر ملتها : انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيّزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن (بايلياء) معهم احد من اليهود ، وعلى اهل (إيلياء) أن يعطوا الجزية كما يعطي اهل (المدائن) وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه ، وماله . حتى يبلغوا مأمنهم . ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل (ايلياء) من الجزية ، ومن أحب من اهل (ايلياء) ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم ، وصلبهم فانهم آمنون على انفسهم ، وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من اهل الارض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على اهل (ايلياء) من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله . وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية » .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص . وعبد الرحمن بن عوف . ومعاوية بن ابي سفيان[1] وكان ذلك سنة ١٥٠ هجرية وقيل بل كان ذلك سنة ١٦ هجرية كما مرت الاشارة اليه[2] .

---

(١) تاريخ الامم والملوك – لابن جرير الطبري ج ٣ ص ١٠٥ مط الاستقامة بالقاهرة .

(٢) الكامل في التاريخ – لابن الاثير ج ٢ ص ٤٩٩ دار صادر ودار بيروت – بيروت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عهد الخليفة عمر لاهل الشام

وسكان الشام في غالبيتهم كسكان القدس مسيحيون في الغالبية ولكن التفاوت الحاصل بين العهدين العهد الذي اعطي لاهل القدس والعهد الذي اعطي لاهل الشام ليس ناشئاً مما ابدت الشام من صلابة في محاربة المسلمين قبل الصلح وان يكن مثل هذا عاملاً من عوامل التشدد والقسوة في الشروط ، ولكن العامل الكبير في استجابة الخليفة عمر (ض) طلب سكان القدس وحضوره الصلح بنفسه ، ومنحهم الحرية الكاملة وما اجراه من تساهل ملحوظ إنما يعود لما لهذه المدينة من منزلة سامية في الاسلام ومكانة كبيرة في عقيدة المسلمين بالاضافة الى تعزيز القرآن للمسيحيين والثناء عليهم كما جاء في الآية الكريمة .

« لتجدنّ أشدّ الناسِ عداوةً للذين آمنُوا اليهودَ والذين أشركوا ولَتجدنّ أقربَهم مودةً للذين آمنوا الذينَ قالُوا إنا نصارى ذلكَ بانّ منهم قسّيسين ورُهباناً وانّهم لا يستكبرون »[1] .

و لتبيين الفروق الكبيرة بين العهد الذي اعطي لاهل القدس والعهد الذي اعطي لاهل الشام نثبت هنا عهد عمر (ض) لاهل الشام .

« عن عبد الرحمن بن غنم ، قال : كُتِب لعمر بن الخطاب (ض) حين صالح نصارى اهل الشام :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما كُتب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا : انكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لانفسنا وذرارينا ، واموالنا ، واهل ملتنا ، وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ، ولا قلاية ، ولا صومعة راهب ، ولا نحيي منها ما كان في خطط المسلمين ، ولا نمنع كنائسنا ان

---

(١) سورة المائدة – الآية ٨٥ .

ينزلها احد من المسلمين في ليل او نهار ، وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل ، وان ننزل من مرّ من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نواري في كنائسنا ، ولا في منازلنا جاسوساً ، ولا نكتم غشاً للمسلمين ، ولا نعلم اولادنا القرآن ، ولا نظهر شركاً ، ولا ندعو اليه احداً ، ولا نمنع احداً من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان اراده ، وان نوقّر المسلمين ، ونقول لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ، ولا نتشبّه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلّين ولا فرق شعر ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نتكنّى بكناهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف ، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ، ولا نحمله معنا ، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ، ولا نبيع الخمور ، وان نجزّ مقادم رؤوسنا ، وان نلزم زيناً حيثما كنا ، وان نشد زنانير على اوساطنا ، ولا نظهر الصليب على كنائسنا ، ولا نظهر صلباننا ، ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ، ولا في اسواقهم ، ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا الا ضرباً خفيفاً ، ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ، ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ، ولا نطلع عليهم في منازلهم » .

قال : فلما أتيت عمر بن الخطاب (ض) بالكتاب زاد فيه : « ولا نضر باحد من المسلمين ، شرطنا لكم ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا شيئاً مما شرطناه لكم وضمنّاه على انفسنا فلا ذمة لنا ، وقد حلّ لكم منا ما حل من اهل المعاندة والشقاق » .

وقد روى هذا الامام البيهقي وغيره ، واعتمد أئمة الاسلام هذه الشروط وعمل بها الخلفاء الراشدون[1] .

---

(١) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ٢٢٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فضائـــل اخرى

وفضائل أخرى أضيفت الى القدس بعد الفتح الاسلامي زادت من تمسك المسلمين بهذه المدينة واحلالها من العقيدة المحل الأسمى .

فعن رجاء بن حيواة عمن شهد دخول عمر بن الخطاب (ض) بيت المقدس قال : لما شخص عمر من (الجابية) الى (ايلياء) فدنا من باب المسجد قال ارقبوا لي كعباً ، فلما انفرق به الباب قال : لبّيك اللهم لبيك ، بما هو أحبّ اليك .

ثم قصد المحراب محراب داود عليه السلام وذلك ليلاً فصلى فيه ، ولم يلبث ان طلع الفجر فأمر المؤذن بالاقامة فتقدم فصلى بالناس وقرأ بهم (ص) وسجد فيها ثم قام وقرأ بهم في الثانية : (صدر بني اسرائيل) ثم ركع ثم انصرف[1] .

وفي رواية ان عمر بن الخطاب (ض) قد خطب بعد دخول القدس بالمسلمين وذلك قبيل رجوعه الى المدينة ، وحضرت الصلاة ، فقال عمر لبلال الحبشي : ألا تؤذن لنا رحمك الله ؟

قال بلال : يا امير المؤمنين والله ما أردت ان أؤذّن لأحد بعد رسول الله (ص) ولكن سأطيعك اذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها ، فلما اذّن

---

(١) تاريخ الام والملوك – ابن جرير الطبري ج ٣ ص ١٠٦ مط الاستقامة بالقاهرة .

بلال وسمعت الصحابة صوته ذكروا نبيهم فبكوا بكاء شديداً ، ولم يكن يومئذ اطول بكاء من ابي عبيدة ، ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر : حسبكما رحمكما الله[١] .

هذا مضاف الى بناء الحرم القدسي الشريف المشيد على جبل (موريا) من بيت المقدس والذي يحوي المسجد الاقصى المبارك ، ومسجد صخرة بيت المقدس ، والاثار الاسلامية المنتشرة هنا وهناك وفي اطراف بيت المقدس ، ومضاف لما قد شيد من ابنية ومساجد ومعابد ، مما صبغت القدس بصبغة اسلامية عملية تتمشى مع صبغتها الروحية وقدسيتها الشريفة ، ففي مكان قصر (هيرودس) الروماني أنشيء مقر للحكومة الاسلامية بعد الفتح بقليل اي في القرن السابع الميلادي وذلك بدليل العثور على سور مطمور يتصل به حصن مستدير الشكل بني على طراز قصور الخلفاء الاولين كما نرى نماذجها في (الغور) وفي بادية الشام ، والتي يرجع تاريخها الى القرن الثامن للميلاد وآخر القرن الاول للهجرة[٢] .

وكثرت المساجد ، وكثر ملازموها من العباد والمتقربين الى الله ببيت المقدس ، ودفن عدد كبير من الاولياء واحفاد الرسول في تلك المساجد ومن ذلك كان مسجد (اليقين) وبظاهره مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) .

داخل قبة الصخرة بيت المقدس

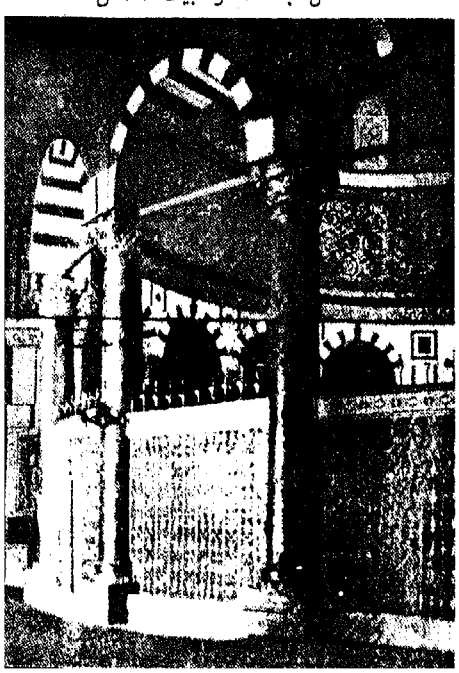

قال القاضي مجير الدين الحنبلي : وعند قبرها رخامة مكتوب عليها بالكوفي .

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢) دليل قلعة القدس تأليف س.ن جونص مط سنترال شارع بن يهودا – القدس .

أسكنت من كان في الاحشاء مسكنُه بالرغم مني بين التّرب والحجـــر
أفـــديك فاطمة بنت ابن فاطمـــة بنت الأئمة بنت الانجم الزهـــر

وجاء في شعر ابن حجر العسقلاني قوله :

الى البيت المقدس جئت ارجو جنان الخلد نزلاً من كريم
قطعنـــا في مسافتـــه عقـــاباً وما بعد العقاب سوى النعيم

وجاء في شعر ابي العلاء المعري عن قدسية القدس قوله :

يا شاكي النوب انهض طالباً حلبـــاً نهوض مضنى لحسم الداء ملتمس
واخلع حذاك اذا حاذيتها ورعاً كفعل موسى كليم الله في القدس

ومن ابدع اقوال المتأخرين قول احمد شوقي في القدس :

بلد على ارض الهدى وسمائـــه المجد حائطه ورأس بنائـــه
بلد بنوه الاكرمون قبورهـــم وقصورهم وقف على نزلائه

وقول جورج صيدح عن القدس اذ يقول :

سلي سماء شعوب الارض هل بلغت ما في ثراك من الامجاد والعظم
طلعت فجراً على التاريخ فاض سنـــا وما جزيت بغير الظلـــم والظلم
أيجحد الغرب من بـــالله عرفـــه وكان إيمانه بالسيف والصـــنم

الى غير ذلك الكثير من الشعر والذي يصور مكانة الارض المقدسة في نظر الاسلام وعقيدته من القديم والحديث خير تصوير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من اهم الحوادث الرئيسية
في تاريخ مدينة القدس

نحو سنة

١٠٠٠ ق.م. اتخذ الملك داود مدينة القدس عاصمة لمملكته
٩٦٠ « « بنى الملك سليمان هيكله .
٥٨٧ « « خراب القدس على يد نبوخذنصر وسبي اليهود الى بابل
٥٣٩ « « عودة اليهود من السبي .
٥٢٠ « « إعادة بناء الهيكل .
٤٤٤ « « اعادة بناء اسوار القدس على عهد نحميا .
١٧٠ « « فتح الملك انطيوخوس أبيفانيس مدينة القدس وتدنيس الهيكل .
١٦٥ « « ثورة المكابيين ، واعادة تدشين الهيكل .
من ٤٠ الى ٤ ق.م هيرودوس الكبير باني الهيكل الثالث وبرج انطونيا والقصر الاعلى (وكان هذا الاخير يشمل برج القلعة الشمالي الشرقي) .
٧٠ ب.م. خراب القدس على يد الرومان ، واقامة حامية رومانية في القصر الأعلى .
١٣٠ ب.م. أسس الامبراطور هادريانوس مستعمرة رومانية في القدس ودعاها إيليا كابيتولينا
٣٢٦ ب.م. شروع الامبراطور قسطنطين الكبير بتشييد كنيسة القيامة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نحو سنة

٦٣٦ ب.م. الفتح الاسلامي .

٦٩١ ب.م. بناء قبة الصخرة المشرفة مكان الهيكل .

١٠٩٩ « « فتح الصليبيين مدينة القدس واتخاذ (برج داود) قصراً للملوكهم منذ ١١٠٠ م .

١١٨٧ « « استرجاع القدس من قبل المسلمين تحت قيادة السلطان صلاح الدين الايوبي .

١٢٣٩ « « هدم تحصينات برج داود .

١٢٦٠ « « استيلاء المماليك المصريين على القدس .

من ١٣١٠ ب.م فصاعداً — اعادة بناء برج داود .

١٥١٦ « « الفتح العثماني .

١٩١٧ « « الاحتلال البريطاني[1]

١٩١٧ « « وعد بلفور .

١٩٤٨ « « احتلال جانب من القدس من قبل اسرائيل .

١٩٦٧ « « احتلال القدس كاملاً من قبل اسرائيل .

---

(١) دليل قلعة القدس : س.ن جونص مط سنترال شارع بن يهودا — القدس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اهم مصادر هذا البحث

القرآن الكريم

التوراة ــ سفر التكوين ــ سفر الملوك

انجيل لوقا

كشف الآيات

تاريخ اليعقوبي

مروج الذهب ــ للمسعودي .

الطبقات الكبرى ــ لابن سعد .

تاريخ الامم والملوك ــ لابن جرير الطبري .

الكامل في التاريخ ــ لابن الأثير .

تفسير التبيان ــ للشيخ الطوسي .

مجمع البيان ــ للطبرسي .

لسان العرب ــ لابن منظور .

تاج العروس ــ للسيد مرتضى الحسيني الزبيدي .

القاموس ــ للفيروز آبادي .

دائرة معارف القرن العشرين ــ محمد فريد وجدي .

قصص الانبياء ــ لعبد الوهاب النجار .

النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

معجم البلدان لياقوت الحموي .

العصور القديمة ــ لجيمس هنري بريستد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

موسوعة العتبات المقدسة – قسم مكة المكرمة – لجعفر الخليلي .
العرب قبل الاسلام – لجرجي زيدان .
تاريخ الحضارات العام – تاليف طائفة من العلماء الفرنسيين من منشورات عويدات .
فلسطين في ضوء الحق والعدل – تأليف المحامي هنري كتن ، وترجمة وديع فلسطين .
كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل – للقاضي مجير الدين الحنبلي
البداية والنهاية – لابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي
تاريخ القدس – لعارف باشا العارف .
بطلان الاسس التي أقيم عليها وجود اسرائيل على الارض العربية للمحامي حسين جميل .
دليل قلعة القدس – تأليف س.ن.جونص .
الطريق الى فلسطين – لمحمد عنان .
لقاء عند بوابة مندلبوم – لاحمد فوزي عبد الجبار .
اهل العلم والحكم في ريف فلسطين – لاحمد سامح الخالدي .
اسطورة الشعب المختار – ترجمة الدكتور اكرم فاضل .
اسرائيل بنت بريطانيا البكر – لمحمد علي الزعبي .
انها لذكرى – لشاكر البدري .
جريدة الحياة البيروتية .
مذكرات الحاج امين الحسيني – مجلة فلسطين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حي المغاربة بالقدس

كتبه

عبد الهادي التازي

خريج جامعة القرويين والاستاذ بجامعة فاس سابقاً
والعضو بالمجمع العلمي وسفير المملكة المغربية ببغداد اليوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حي المغاربة بالقدس

ارتبط تاريخ المغاربة بالقدس الشريف منذ اللحظات الاولى التي اعتنقوا فيها الاسلام كمذهب ، ولهذا فقد شدّتهم اليه نفس الوشائج التي شدّتهم الى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة فكان جلّهم يمر بالشام عند مقفله من الحج حتى ينعم برؤية مسرى النبي العربي ويحقق الاجر في شدّ الرحلة الى المساجد الثلاثة ...

عرج عليه عشرات الاعلام ممن كانوا نبراساً يهتدى بهم في الديار المغربية فكانوا يعطّرون بذكره المجالس ، وكانوا يروون عن الايمة الذين صادفوهم هناك من امثال ابي بكر الطرطوشي وابن الكازروني وقد اجتمع بهما فخر المغرب القاضي ابو بكر ابن العربي الذي رافق والده الامام عبد الله في سفارته الى المستظهر بالله العباسي من قبل يوسف بن تاشين[1] ..

ومن امثال القاضي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد ابن جماعة الذي حضر مجلسه الرحالة المغربي النقاد العبدري ٦٨٩ (١٢٩٠ — ١٢٩١) [2] وأمثال محمد بن سالم الغزي وعماد الدين النابلسي وشهاب الدين الطبري ومحمد ابن مثبت الغرناطي ممن كانوا على صلة بالرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة ،

---

(١) المقرى — نفح الطيب ٢٤٤ — ٢٤٨ — عبد الهادي التازى — تاريخ المغرب الدبلوماسي ص ٧ .

(٢) نشر الرحلة الاستاذ محمد الفاسي اخيراً ضمن سلسلة الرحلات التي ينشرها المركز الجامعي للبحث العلمي ...

ومن امثال ابي الحسن الواسطي وابي عبد الله محمد بن سالم الكناني وابي البركات زين الدين وعلي ابن ايوب المقدسي وشمس الدين الخولاني ومحمد بن نباتة الذين اتصلوا بالكاتب المغربي خالد البلوى[١] ...

سفارة ابن منقذ الى المغرب

كانت سمعة الاساطيل التي كان المغرب يتوفر عليها قد وصلت الى الديار المشرقية وبخاصة ايام دولة الموحدين الذين انشأوا لهم « دار الصنعة » المختصة بانشاء الاساطيل البحرية والمراكب الجهادية[٢]

وبما ان الفرنج ملكوا سواحل الشام اواخر الدولة الفاطمية ، وملكوا معها بيت المقدس فقد صارعهم صلاح الدين الايوبي وافتتح البيت حوالي سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧ — ١١٨٨ م) .

وعندئذ انقضت امم النصرانية من كل جهة على سواحل الشام شأنها في المغرب عندما تحالفت على الاجهاز على الوجود الاسلامي بالاندلس ...

لقد اعترضوا اسطول صلاح الدين في البحر ولم تتمكن اساطيل الاسكندرية آنذاك لصد الغزو الصليبي نظراً لضعفها وقلة عددها .

ومن هنا وردت فكرة الاستغاثة باسطول المغرب الذي كان يهيمن على مسالك البحر الابيض المتوسط ..

وكان أن بعث القائد صلاح الدين الى السلطان يعقوب، المنصور سنة ٥٨٦ (١١٩٠ — ١٩١١ م) يطلب اعانته بالاساطيل لمنازلة عكا ، وصور ، وطرابلس الشام .

---

(١) توجد نسخة مخطوطة بالمكتبة العامة رقم ١٢٨٨/د ورقم ٥٨٠٣ بالمكتبة الملكية الرباط .

(٢) ابن صاحب الصلاة — تاريخ المن بالامامة نشر التازى ص ٢١٤ . ابن ابي زرع — روض القرطاس طبعة حجرية ص ١٦٤

وقد أوفد على رأس هذه البعثة المهمة الامير ابا الحرث عبد الرحمن بن منقذ الشيزري[١] ، طالباً « ان تُحول القوات المغربية في البحر بين اساطيل الفرنج وبين امداد النصرانية بالشام من الجهات الاخرى . »

وقد بعث صلاح الدين بهدية تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين ، ووزن مائة درهم من عطر البلصان ، وعشرين رطلاً من العود القماري وستمائة مثقال من المسك والعنبر وخمسين قوساً عربية بأوتارها ،وعشرين من النصول الهندية مع عدة من السروج المثقلة ...

وقد وصلت السفارة فعلاً الى الديار المغربية فصادفت المنصور بالاندلس في عملية عسكرية لقمع الاعتداءات التي اخذت تتوالى على المدن الاندلسية وجعل حدّ للزّحف الصليبي الذي اخذ يستفحل بعد انكسار وبذة عام ٥٦٧[٢].

وانتظر السفير ابن منقذ بمدينة فاس عودة السلطان المنصور الذي طُيّر اليه الخبر عن طريق الرقاصة[٣] المغاربة .

وقد كان يوم استقبال الوفد يوماً مشهوداً بفاس العاصمة الاولى للدولة المغربية .

هناك تسلم العاهل المغربي الرسالة الأيوبية التي كانت من انشاء الاديب عبد الرحيم البيساني المعروف بالقاضي الفاضل[٤] .

---

(١) النفح ١،٤١٩ – الاستقصا ٢،١٦٣ – جمال الدين الآلوسي – أسامة ابن منقذ ص ١٦٣ – ٤١ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن ص ٥٠١ .

(٣) الرقاصة ج رقاص وهو في الاصطلاح المغربي يعني رجل البريد وكان المغرب يتوفر منذ ذلك التاريخ على انواع من البريد فيها العادي فيها السريع الذي كان مضرب المثل في ايصال الاخبار عن اقصر طريق .

(٤) كان صلاح الدين يقول : « لا تظنوا اني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل » وقد توفي القاضي بالقاهرة عام (٥٩٦) ابن خلكان – ١،٢٨٤ .

لقد كانت ديباجة الكتاب « من الفقير الى الله تعالى يوسف ابن ايوب صلاح الدين الى امير المسلمين .. وبعده : « الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفية من استعمر الارض واغنى من أهلها من سأله القرض ، واجرى من اجرى على يده النافلة والفرض ، وزين سماء الملة بدراري الذراري التي بعضها من بعض ... وهو كتاب طويل ...

وكان السفير ابن منقذ مدح السلطان المنصور بقصيدة طويلة كذلك من اربعين بيتاً كان من حملة ابياتها :

سأشكر بحراً ذا عباب قطعتـــه ... الى بحر جود ما لأخراه ساحل !
الى معدن التقوى الى كعبة النـــدى ... الى من سمت بالذكر منه الاوائل
اليك أمـــر المؤمنين ولم تـــزل ... الى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنـــاً ... بان نداك الغمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك العـــلا فبلغتها ... وادنى عطاياك العلا والفواضل
فـــلا زلت للعلياء والجود بانيـــا ... تبلغك الآمال ما انت آمل !

وقد ابتهج السلطان المنصور بسفير صلاح الدين وحمله على « مباهج البر والكرامة » كما تقول المصادر المغربية ، واعجب بشخصية الامير ابن منقذ واكرمه باربعين الف دينار .

وبالرغم من بعض المؤاخذات التي كانت للسلطان يعقوب على الامير صلاح الدين بسبب تسريح هذا الاخير مولاه قراقوش لبلاد المغرب سنة ٥٦٨ (١١٧٢ – ١١٧٣) لمحالفة خصوم الموحدين والتشغيب عليهم[1]

---

(١) ليس صحيحاً ان سبب المواخذة هو تجافي صلاح الدين عن خطاب المنصور بامير المؤمنين واكتفائه بنعته بامير المسلمين فان مثل هذه الالقاب مما لم يحفل به القادة المغاربة سيما في ظروف الشدة التي كانت تستدعي وحدة الكلمة ، ويدلنا على ذلك انهم اي المغربيين كانوا لا يجدون غضاضة في ان يرددوا اسماء خلفاء بغداد على منابر مساجدهم كما انهم كانوا ينقشون اسماءهم على السكة الى جانب اسمائهم.. الامر الذي يؤكد ان بواعث المواخذة كانت اعمق من هذا وابعد .. =

بالرغم من ذلك جهز له بعد ذلك بمائة وثمانين اسطولاً كان لها اثر قوي على منع النصارى من سواحل الشام كما يقول ابن خلدون[١] .

وان الذي يعرف غيرة المنصور الموحدي وتفانيه في ساحات الجهاد ويعرف مع ذلك حاجة الاندلس بالذات لليقظة الزائدة والحركة المطردة ليدرك جيداً تضحية المنصور بل مغامرته بارسال مثل هذا العدد من الاساطيل الجهادية الى اقصى جهات المتوسط .

ولعل احسن تعبير أدّته الشام اعترافاً بجميل العاهل المغربي هو ذلك المشهد الذي اقاموا له على مقربة من دمشق على ما عند ابن خلكان ...

ومعلوم ان ذلك العدد من المراكب لم يأخذ طريقه دون عسكر مدرب ودون متطوعين ومرشدين ومجاهدين وبهذا نفسر التحاق عدد من المغاربة بالشام كان فيهم الصناع والعمال والفقهاء من امثال ابي الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الشيخ غزا بالمغرب مع الموحدين ، وبالشام مع صلاح الدين[٢] .

وعندما حقق صلاح الدين آماله في إبعاد الخطر عن بيت المقدس اذن لمن يريد من المغاربة بالعودة الى ديارهم لكنه كان بحاجة الى بعض منهم ممن كانوا يفضلون بدورهم البقاء بالشام استعداداً للطوارىء .

= والحقيقة ان تسريح قراقوش للديار المغربية والايعاز له بمحالفة ابن غانية وعرب افريقية كان مما سبب للموحدين متاعب جمة لولاهـا لكان للموحدين في بلاد الاندلس فتوحات عظيمة لا تقدر بثمن .. ولعل في هذا كفاية ايضاً عن الرد على من ذكر ان مواخذة المنصور ترجع لكون رسل صلاح الدين كانوا ضد الفاطميين الذين هم من اصل مغربي ...

(١) صبح الاعشى – الاستقصا ٢،١٦٣ – الشبيبي – ادب الاندلسيين والمغاربة

(١) من غريب ما يروى ، مما يدخل في نشاط مقصات الرقابة ، ان نسخ ابن خلدون المغربية تحتفظ بهذا النص في الوقت الذي تجد فيه النسخ المطبوعة بالمشرق تخلو من الاشارة لنجدة صلاح الدين ، وعلى النسخة المغربية اعتمد الناصري صاحب كتاب الاستقصا المجلد ١٦٣ – ١٦٤ – عبد الله كنون : النبوغ المغربي ص ١٠٧ .

(٢) صلة الصلة رقم ٢١٨ .

ومن هنا كانت كذلك مدرسة المالكية ومسجد المغاربة الذي تحدث عنه خالد البلوى الاندلسي منذ سنة ٧٣٨ (١٣٣٧ – ١٣٣٨ م)[١] كما تحدث عنه ذو الوزارتين السفير ابو القاسم الزياني في مطلع القرن الثالث عشر الهجري[٢] .

* * *

لكن كل هذا لم يكن كافياً لتمركزهم بالقدس فقد كان على دولة بني مرين التي ورثت دولة الموحدين ان تقوم باول محاولة من نوعها في سبيل تملك العقار بتلك الديار ، وكأنها تنبهت لما يهدد البيت الحرام من غزو آخر يكون على شكل تملك اراضي تلك البقاع ...

وهكذا نجد السلطان ابا الحسن علياً بن عثمان يخصص سنة ٧٣٨ (١٣٣٧ – ١٣٣٨) ستة عشر الفاً وخمسمائة دينار ذهبي لشراء الرباع في الحرمين والقُدس ...

وحتى يعرب الملوك المغاربة عن تعلقهم بتلك الرحاب قاموا انفسهم بنسخ ثلاثة مصاحف كبرى بخط ايديهم ليجعلوها في خزائن تلك العتبات المقدسة تذكيراً باهمية التربة وتعبيراً ...

وكما كان الشأن في مصحف مكة عام ٧٣٨ (١٣٣٧ – ١٣٣٨) ومصحف المدينة عام ٧٤٠ (١٣٣٩ – ١٣٤٠) فقد قام السلطان ابو الحسن عام ٧٤٥ (١٣٤٤ – ١٣٤٥) بانتساخ المصحف بيده وجمع الوراقين لتنميقه وتذهيبه ، كما احضر القراء لضبطه وتهذيبه ، وضع له ظرفاً مؤلفاً من الابنوس والعاج والصندل وغشّاه بصفائح الذهب وغلفه من فوق برقاع من الحرير والديباج ...

---

(١) راجع رحلة البلوى ... مجلة اللقاء دجنبر ١٩٦٩ ص ٢٤ – محمود العابدي : بيت المقدس ١٩٦٩ ص ٢٩ .

(٢) الترجمانة الكبرى نشر وزارة الانباء المغربية ص ٢٦٨ .

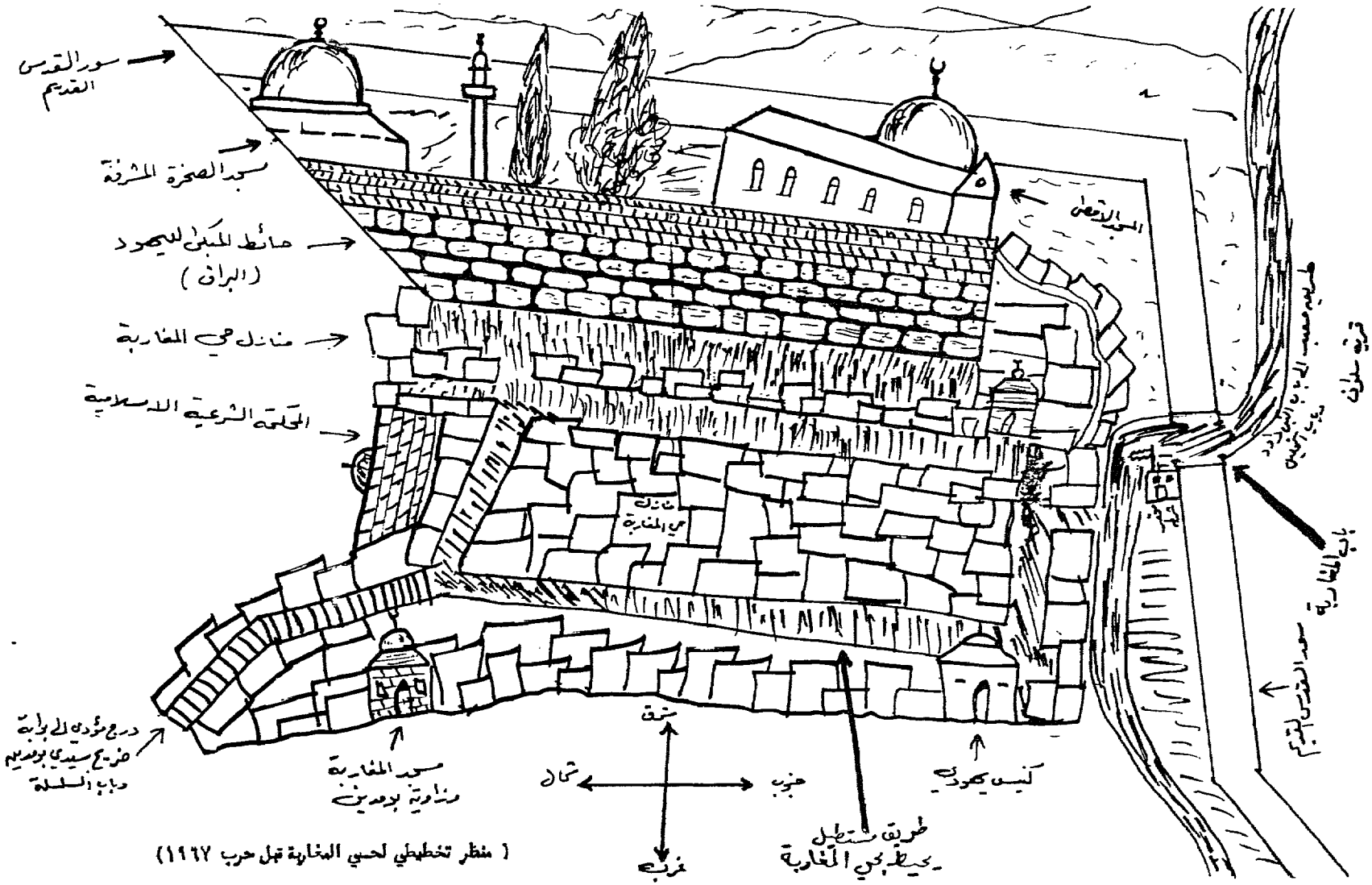

(منظر تخطيطي لحي المغاربة قبل حرب ١٩٦٧)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد وهم ابن خلدون عندما ذكر ان ابا الحسن ادركته وفاته قبل الفراغ من نسخها . فقد بعث بهذا المصحف الجميل الى ابي الفداء اسماعيل بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، بواسطة احد سفرائه اللامعين : هو ابو الفضل ابن ابي عبد الله بن ابي مدين عندما توجهت الاميرة مريم الى الديار المقدسة ...

وقد ذكر المقري صاحب نفح الطيب[1] انه رأى المصحف الذي ببيت المقدس ورأى ربعته (يعني ظرفه) وهي في غاية الصنعة .

وقد استمر هذا المصحف ببيت المقدس الى السنوات الاخيرة حيث وقفتُ عليه يوم ثاني شتنبر من عام تسعة وخمسين وتسعمائة والف ، وقرأت عليها اسم « عبد الله علي » وتاريخ ٧٤٥ ...

* * *

واستمرت صلة الدولة المغربية بتلك البقاع ليس فقط لما تتمتع به من قداسة ولكن لان عدداً مهماً من المواطنين المغاربة ارتبط بتلك الديار فكان جسراً شريفاً بين مغرب الاسلام ومشرقه ، ولهذا فلا عجب ان نجد السلطان أبا العباس احمد المنصور السعدي يستقبل في قصره بالمغرب عدداً من علماء مكة والمدينة وبيت المقدس . وهكذا نجد الفقيه امام الدين ابن محمد بن يوسف ابن علاء الدّين بن قاسم البطائحي الخليلي الاشعري يرتبط ببيت المقدس لدرجة تجعله — بالرغم مما لقيه في بلاط ابي العباس من كرم الضيافة ولطف المعشر — يعبر عن شوقه الى تلك الرحاب :

اهلي بارض القدس ينتظرونني قد مسهم الم النّوى ببعادي
لي طفلة كلف الفؤاد بحبهـا وتشتتت لفراقهـا اكبادي

* * *

جست الاراضي واختبرت ملوكها ولقيت من فيها من الامجاد

---

(١) النفح ٦، ١٣٦ – الاستقصا ١٣ .

ما شاهدتْ عيناي مثلك في الورى تتبين الاشيـــاء بالاضـــداد
بل جودكم عمّ الانـــام وقدركم أربى على المأمون في بغداد[١]

* * *

وكما كان الشأن في العهود السابقة فاننا نجد الامر كذلك بالنسبة في العصور اللاحقة حيث ظل القدس مزار المغاربة يقصدونه جيئة وذهاباً سواء أكان اتجاههم نحو الحجاز مع ركب الحاج او نحو اسطنبول في مهمات سياسية كما ظلت فكرة تملك العقار بالبقاع المقدسة في صدر اهتمام الملوك المغاربة .

وقد قرأنا عن الاميرة لالة خناثة زوجة السلطان المولى اسماعيل وام السلطان المولى عبد الله وجدة السلطان محمد الثالث ، قرأنا عنها اقتناءها العقار بالبقاع المقدسة وصرفها ما يناهز الالف مثقال ذهب مطبوعة في ذلك وتعيينها ناظراً للسهر على ريع الوقف وتوزيع فوائده[٢] .

وقد اهتم الملوك العلويون بامر جاليتهم في القدس فوجه السلطان المولى عبد الله بضعة وعشرين مصحفاً بخطوط جميلة كان منها ما نال ثالث الحرمين[٣]

كما ان السلطان محمد الثالث وقف عدداً من المخطوطات على الحرمين وبيت المقدس بالنظر لتكاثر المغاربة هناك وتمكنهم من جل مرافق المدينة .

وقد امسى المسجد الاقصى بمثابة مزارة مغربية لا تختلف عن مشهد المولى ادريس الاكبر بمدينة زرهون او ادريس الازهر بمدينة فاس ، الامر الذي يفسره الاهتمام بنشر قرارات الدولة في تلك المراكز على نحو نشرها بالديار المغربية لما ان الحاليات المغربية تتواجد بكثرة في تلك البقاع .

* * *

---

(١) المقرى : روضة الآس العاطرة الانفاس (مطبوعات القصر الملكي ١٩٦٤ ص ١٤–١٥ .
(٢) رحلة الاسحاقي (مخطوطة) بالخزانة الكبرى لجامعة القرويين وهي تحمل رقم ٢٠٨/ ٨٠ وتوجد نسخة اخرى في مكتبة النقيب ابن زيدان تحت رقم ١٩٢٨ – عبد الهادي التازى – امير مغربي في ليبيا (طبع دار المصراتي – طرابلس) .
(٣) الزياني – الروضة (مخطوط) ص ٩١ (ب) .

ومن هناك كثر المغاربة واخذوا يجدون لهم فروعاً في شتى جهات فلسطين ، ومع انهم امتزجوا بباقي الاسر المتواجدة هناك فانهم ظلوا ملتفين بعضهم بعضاً محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم في المطعم والملبس متخذين جلهم من المذهب المالكي مرجعاً لهم كما هو الشأن بالمغرب الاقصى ومتخذين فوق ذلك وكيلاً لهم يدافع عن مصالحهم ويرعى حقوقهم ويقوم بتوزيع المساعدات التي استمرت تصل الفقراء والمحتاجين منهم من الديار المغربية .

وبالرغم من انه لا يضبط تاريخ محدد لتأسيس حي المغاربة ولا للباب الذي يحمل اسم باب المغاربة[1] مما يتصل بالحي المذكور ، بالرغم من ذلك فان سائر القرائن تدل على انه من الاحياء القديمة جداً التي يرجع تاريخها الاول لعهد صلاح الدين الايوبي — إن لم يسبق ذلك التاريخ — وقد جددت دون شك بعض جهاته ايام السلطان سليمان القانوني ...

ويعتبر حيّ المغاربة برمته من الاوقاف الخيرية المغربية ، وهو يقع في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة القديمة ، ويلاصق المسجد الاقصى والصخرة وحائط المبكى (حائط البراق الشريف) شرقاً ، والحي اليهودي غرباً وسور القدس (باب المغاربة) جنوباً . وباب السلسلة المحكمة الشرعية الاسلامية شمالاً .. (انظر الرسم) . والحيّ يضم مائتين وخمسة واربعين عقاراً ويحتوي على سبعمائة وثلاثين شقة سكنية ومسجدين وخمسة مخازن ويقع في الحيّ بعض الابنية الاثرية التي بناها المماليك واهمها قصر الامام . وجميع تلك المنازل ملاصقة بعضها بعضاً . وهي ابنية قديمة تشتهر بآبارها وغرفها الصغيرة نوعاً ما . وجدرانها السميكة حيث يصل سمك الجدار احياناً المتر الواحد . كما تشتهر

---

(١) محمود العابدي : بيت المقدس ص ٣٣ — ٤٠ .

بصغر مداخلها الرئيسية كبقية احياء القدس القديمة ، وببضع درجات نزولاً .

وفي معظم تلك البيوت يوجد سرداب يوؤي اليه السكان في فصول الصيف ، ويختزنون فيه بعض المواد التي يتسرع اليها الفساد ، وان اكبر بيت في حيّ المغاربة لا يتجاوز الطابقين وثمان غرف الا ان العلامة المميزة له عن بقية الاحياء كونه غير مسقوف ولا وجود للقناطر فيه ...

ولا ينكر ان في حيّ المغاربة بيوتاً اصبحت غير صالحة للسكنى بسبب تداعيها ، ومع ذلك نجدها آهلة بسكانها المغاربة مع العلم ان هناك لجنة للاصلاح والترميم تشرف عليها الاوقاف الاسلامية .

ومن ابرز المعالم التي توجد في الحيّ زاوية سيدي بومدين الغوث التي كانت تحتوي ، فيما تحتوي عليه ، سيفَه الذي قيل انه كان يجاهد به ضدّ الصليبيين

أحدى الجرافات الاسرائيلية تهدم جانباً من حي المغاربة
الملاصق للمسجد الاقصى المبارك يوم ١٤/ ٦ / ١٩٦٩

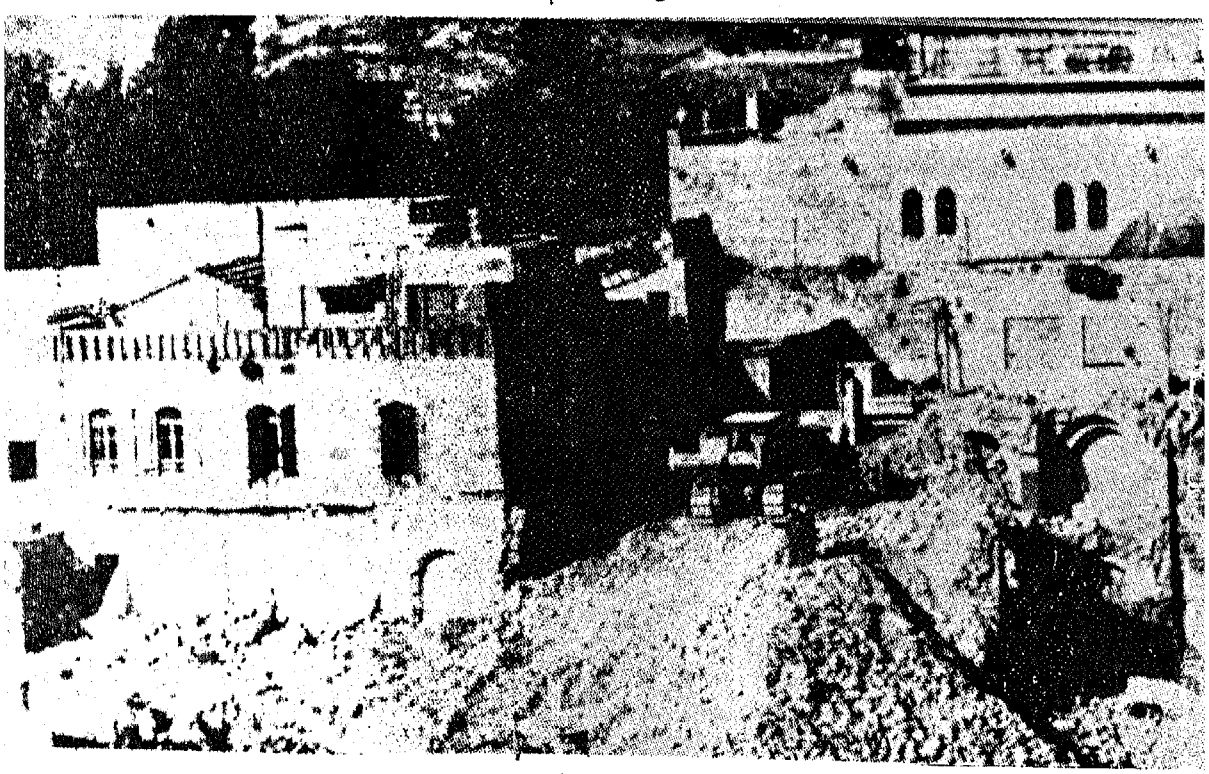

عندما زار بلاد المشرق[١] ..

وتضم الزاوية حوالي عشرين غرفة صغيرة جداً لا تتجاوز مساحة كل منها ثلاثة امتار على مترين ، يقيم فيها الحجاج الواردون من المغرب والجزائر وتونس ، بحيث تعتبر الزاوية مقر استراحة للحجاج الافارقة في طريقهم الى الحجاز ذهاباًوايابأ . وفيهم من يستهويه الحال فيقطن فيها بصورة دائمة . ويتخذ حيّ المغاربة شكلاً مربعاً يحيط به طريق ضيق مبلط مع بضع درجات ، ويربط الحيّ بالقدس القديمة حيّ باب السلسلة . كما يربطه بالقدس الجديدة باب المغاربة وهو باب الحيّ في سور القدس ، وللحي المغربي اهمية لوجود حائط المبكى (حائط البراق الشريف) فيه ، ويؤم الحائط كما هو معلوم آلاف السياح والرواد كل سنة ، وكل من يروم زيارة الحائط لا يدخله من اختراق الحيّ .

وبعض تلك الاملاك — على ما اسلفنا — من وقف مغربي اقدمه يرجع لعهد المرابطين والموحدين وبني مرين .

وعندما اعتدي على القدس الشريف من قبل القوات الصهيونية الغاشمة يونيه ١٩٦٧ صادرت اسرائيل تلك الاوقاف وضمتها الى املاكها واخلتها من سكانها مستعملة لتحقيق ذلك وسائل الضغط الاقتصادي وقطع المجاري وشبكات المياه واخيراً استعمال القوة والنسف حيث دمر الحيّ المغربي عن

---

(١) يعتقد بعض العوام ان ضريح الشيخ بومدين يوجد هنا والحقيقة انها مزارة فقط لما روي من انه عندما زار بيت المقدس كان يفضل ان يعطي دروسه بهذا المكان ، ومن المعلوم ان الشيخ بومدين اخذ العلم عن رجالات فاس اواخر دولة المرابطين واوائل دولة الموحدين وبه ان مكث عدة اعوام بفاس انتقل الى مكة حيث لقى الشيخ عبد القادر الجيلاني ولما عاد الى المغرب — عبر الشام — انصرف لتعليم الصوفية فاستقر ببجاية وقد توفي عام ٥٩٤ ودفن برباط العباد قرب تلمسان وبنيت عليه قبة بأمر من السلطان الموحدي محمد الناصر ابن ابي زرع : روض القرطاس طبعة فاس ١٢٠٣ ص ١٩٤ — الجذوة ٣٣٢ تعريف الخلف برجال السلف ١٧٢،٢ — دائرة المعارف الاسلامية ٣٩٩،١ الاستقصا ١٨٩،٢ .

بكرة ابيه وسوي بالارض ، واقامت سلطات الاحتلال الاسرائيلي مكانه ساحة عامة تتوسطها حديقة ملاصقة لحائط المبكى .

وقد تمت ازالة مباني الحيّ المغربي بتاريخ ١١–٦–١٩٦٧ اي بعد احتلال اسرائيل للقدس بخمسة ايام . وقد قامت الهيئة الاسلامية في القدس بواجبها عندما تكشفت ان تنفيذ نسف حيّ المغاربة سيتطلب هدم باقي الابنية العربية القائمة بين باب المغاربة والزاوية الجنوبية الغربية للحرم والملاصقة للمسجد الاقصى من جهة الجنوب ، وكذلك عمارة المحكمة الشرعية القديمة وباب السلسلة من جهة الشمال ، وهكذا سارعت الهيئة الاسلامية بتقديم مذكرة الى السلطات المحتلة بتاريخ ٩–٨–١٩٦٧ تطالب فيها بايقاف اي اجراء تعسفي جديد(٢) .

ولم يكد خبر العدوان الوحشي على مبنى القدس الشريف يصل مسامع الملك الحسن الثاني حتى استجاب للنداء الجريح الباكي الذي توجه به الملك الحسين عاهل الاردن الى مختلف الدول الاسلامية ..

وهكذا احتضن المغرب مؤتمرين اثنين متواليين : القمة الاسلامي الذي حضرته خمس وعشرون دولة ،والقمة العربي التي شاركت فيه سائر الدول العربية(٣) .

* * *

والحديث عن حيّ المغاربة يقتضي منا أن نتعرف قليلاً على اولئك الذين كانوا الى الامس القريب يقيمون بهذا الحيّ مخلفين في ذلك آباءهم وجدودهم الاقدمين .

---

(١) روحي الخطيب : العدوان الاسرائيلي على المقدسات الاسلامية في القدس ص ٨ .
(٢) روحي الخطيب : العدوان الاسرائيلي ص ٨ .
(٣) عبد الحميد السائح : ماذا بعد احراق المسجد الاقصى ١٩٧٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان الجالية المغربية القاطنة فقط في حيّ المغاربة تضم اكثر من خمس وعشرين عائلة يقدر عدد افرادها بحوالي ٨٠٠ شخص ، كما توجد بعض العائلات متفرقة في مدن الاردن كاريحا ، وعكا ، وعمان ، ومجموع افراد الجالية الكلي يقـــارب الـ ١٣٠٠ شخص عدا الحجـــاج القاطنين في زاوية سيدي بومدين .

وتوجد الى جانب الجالية المغربية طائفة من العائلات الجزائرية والتونسية والليبية الا انها لا تتجاوز السبع عائلات .. والمعروف ان جل المغاربة في فلسطين والشام كان جدودهم قدموا من الوطن الام (المغرب) على ما اسلفنا لكن فيهم ايضاً من قدم مع الجيوش الفرنسية واعتصموا بهذه البقاع فارين من العمل ضد غزو اخوتهم .

واشهر العائلات المغربية هي عائلة المرحوم الحاج ادريس المغربي المعروف بابي الايتام والمشهور بأياديه البيضاء على دار الايتام التي انشأها المجلس الاسلامي الاعلى في بداية العشرينات ، وعائلة المرحوم الحاج ابراهيم الفكّيكي وعائلة المرحوم الشيخ محمد المهدي ، وعائلة المرحوم الحاج علي النقيب ، وعائلة السيد صالح الطيب ، وعائلة المرحوم الحاج احمد المصلوحي ، وعائلة السيد احمد الفاسي والسيد سعيد الفيلالي ، وعائلة السيد احمد بو حمالة واسرة الحاج البشير التازى واسرة الاشراف العلميين ...

وهذه العائلات تقطن الحيّ منذ مئات السنين بدون اجرة ويحق للشاب المغربي الراغب في الزواج ان يطالب ببيت مستقل له ولزوجته في حالة عدم اتساع بيت ابيه له بعد الزواج ، وكما كان منذ القدم فان جميع افراد الجالية المغربية تتمتع بمساعدات مادية من الحكومة المغربية تقوم هذه بصرفها الى لجنة شؤون المغاربة لتقوم بتوزيعها على المحتاجين سواء من سكان البيوت او من المجاورين في زاوية سيدي بومدين ، هذا الى المساعدات الغذائية اليومية .

* * *

ولما كان عدد افراد الجالية المغربية في تزايد مستمر ، ولما كانت مصالحهم واعمالهم كثيرة فكر رجال الجالية بفصل الاوقاف المغربية عن شؤون الاوقاف الاسلامية . ونجحوا في ذلك مطلع عام ١٩٥٤ ، وهكذا اصبحت الاوقاف المغربية مستقلة مالياً وادارياً ، وقد عينت الاوقاف الاسلامية بالاشراف مع لجنة مغربية الشيخ الحاج محمد المهدي عميداً للجالية يحمل اختاماً خاصة ويشرف على تصريف شؤون المغاربة في الاردن ، كان بمثابة « مختار » وقد استمر في منصبه حتى عام ١٩٥٩ . ولما كان الشيخ المهدي قد طعن في السن كثيراً اجتمع رجال الجالية ثانية في نفس التاريخ وانتخبوا الحاج علي النقيب كعميد لهم يمثلهم لدى الاوقاف الاسلامية ويشرف على امورهم ، وقد استمر هذا في منصبه حتى وافاه الاجل عام ١٩٦٢ ، بعدها عقدت الجالية اجتماعاً طارئاً قرروا فيه انتخاب السيد محمد الفكّيكي خلفاً له ولا يزال هذا الاخير يشغل منصبه حتى الوقت الحاضر ، لكن اشرافه اقتصر على ما تبقى من افراد الجالية المغربية في الارض المحتلة .

وعلى ذكر الرئاسة هذه نشير الى ان منصب الرئاسة او (المختّرة) هو منصب فخري لا يتقاضى من يشغله اي اجر وانما يتلقى المساعدة المادية كبقية افراد الجالية لا يفوتهم بأي شيء .

* * *

وبعد اسر القدس الشريف وتراكم الاعمال على السيد الفيكّيكي اصبحت سفارة المملكة المغربية الملجأ الوحيد لافراد الجالية يراجعونها في تصريف امورهم ، وقد استعان السيد عبد الكبير الفاسي سفير المغرب آنذاك بالسيد احمد بو حمالة — بعد التشاور مع افراد الجالية — وهكذا اصبح بو حمالة بمثابة رئيس مساعد يقدم للسفير المشورة اللازمة .

وقد أمسى افراد الجالية المغربية يعيشون في مخيمات النازحين كبقية جميع اخوانهم اللاجئين الفلسطينيين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١١٢ ـــــــ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اورشليم الكنعانية (بيت المقدس)
في اقـــدم عصورها

كتبه

الدكتور احمد سوسه

الحائز على درجة شرف من جامعة جونس هوبكنس
ومدير الري العام ومدير المساحة العام في العراق سابقاً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أورشليم الكنعانية (بيت المقدس) في أقدم عصورها

١ – تمهيد
٢ – تسمية المدينة في مختلف أدوارها
٣ – سكانها الأولون
٤ – جغرافية المدينة وطوبوغرافيتها
٥ – أسوار المدينة قديماً وحديثاً
أ – السور القديم (السور الأول) .
ب – السور الثاني .
ج – السور الثالث والأخير .
٦ – تاريخ المدينة القديم
ا – الدور الأول – دور ما قبل ظهور بني اسرائيل
ب – الدور الثاني – دور بني اسرائيل .
١ – عهد موسى .
٢ – عهد يشوع .
٣ – عهد القضاة .
٤ – عهد الملوك .
٥ – عهد الانقسام – مملكتا اسرائيل ويهوذا .
٦ – الغزو الآشوري وازالة اسرائيل .
٧ – الغزو الكلداني وازالة يهوذا .
٧ – أورشليم في زمن الفرس الاخمينيين (٥٣٨ – ٣٣٢ ق.م.)
٨ – أورشليم في زمن الاغريق (٣٣٢ – ٦٤ ق.م.)
أ – عهد الاسكندر الكبير .
ب – النزاع بين القواد اليونانيين بعد موت الاسكندر .
ج – النزاع بين البطالسة في مصر والسلوقيين في سورية .
د – طبقة من اليهود تتقبل الثقافة اليونانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هـ – تدخل روما في الشرق .
و – محاولة السلوقيين القضاء على اليهودية واندلاع ثورة المكابيين .
ز – عهد المكابيين في فلسطين (١٦٦ – ٣٧ ق.م.)
ح – فترة اضطرابات ومشاحنات تمهد الى تدخل الرومان في شؤون فلسطين .
ط – الرؤساء المكابيون ومدد حكمهم (١٦٦ – ٣٧ ق.م.)
ى – جدول مسلسل للحوادث التاريخية في العهد الاغريقي (٣٣٤ – ٦٤ ق.م.)
٩ – أورشليم في زمن الرومان (٦٤ ق.م. – ٦٣٨ ب.م.)
أ – التنازع بين الدول على السيطرة في الشرق وتغلب الرومان في الصراع .
ب – يهوذا تخضع لحكم روما المباشر – كابينوس نائب قنصل في سورية .
ج – كراسوس وكاسيوس في حكم سورية .
د – اليهود في عهد قيصر – انتيباتر الأدومي حاذق وحاكم في أورشليم .
هـ – مارك انطونيوس وكليوبطرة – القضاء على انطونيوس واقامة الانبراطورية الرومانية .
و – هيرودس الأدومي ملك على يهوذا وعلى الجليل .
ز – تقسيم مملكة هيرودس على أولاده بعد وفاته .
ح – هيرودس اغريبا حفيد هيرودس الكبير ملك على فلسطين .
ط – موت اغريبا وثورة اليهود ثم قمعها على يد تيطوس سنة ٧٠ م .
ى – ثورة اليهود من جديد بقيادة باركوخيا والقضاء عليها .
ك – تساهل الرومان مع اليهود في نشاطاتهم الدينية واعادة تشكيل السنهدرين .
ل – الانبراطور قسطنطين يعتنق المسيحية وأثر ذلك في انتشار وتغلب المسيحية .
م – الصراع بين الفرس والرومان حتى الفتح الاسلامي .
ن – جدول مسلسل للحوادث التاريخية في العهد الروماني (٦٤ ق م – ٦٣٨ ب.م)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المختصرات

نظراً لكثرة الاشارة إلى اسفار التوراة فقد اثبتنا طريقة اختصار اسمائها على الوجه الآتي : —

سفر التكوين	مختصره	(تك)
سفر الخروج	مختصره	(خر)
سفر االاويين	مختصره	(لاو)
سفر العدد	مختصره	(عد)
سفر التثنية	مختصره	(تث)
سفر يشوع	مختصره	(يش)
سفر القضاة	مختصره	(قض)
سفر راعوث	مختصره	(را)
سفر صموئيل الأول	(١ صم)	
سفر صموئيل الثاني	(٢ صم)	
سفر الملوك الاول	مختصره	(١ مل١ن
سفر الملوك الثاني	مختصره	(٢ مل)
سفر أخبار الأيام الأول	(١ أخ)	
سفر أخبار الأيام الثاني	(٢ أخ)	
سفر عزرا	مختصره	(عز)
سفر نحميا	مختصره	(نح)
سفر المزامير	مختصره	(مز)
سفر الجامعة	مختصره	(جا)
سفر أشميا	مختصره	(اش)
سفر ارميا	مختصره	(ار)
سفر خرقيال	مختصره	(حز)
سفر هوشع	مختصره	(هو)
سفر يوئيل	مختصره	(يو)
سفر عاموس	مختصره	(عا)
سفر المكابيين الأول	مختصره	(١ ملك)
سفر المكابيين الثاني	مختصره	(٢ ملك)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أورشليم الكنعانية (بيت المقدس) في اقدم عصورها[1]

١ ــ تمهيد :

ما من مدينة في تاريخ العالم تمتعت بقدسية مستديمة ، منذ أن أسّسها اليبوسيون الكنعانيون قبل زهاء خمسة آلاف عام[2] حتى يومنا هذا ، مثل مدينة أورشليم (بيت المقدس الحالية) : هي الارض المباركة « دار السلام » كما سمّاها الأقدمون ، وقد حمل ملوكها القدماء لواء عقيدة التوحيد للاله العلي لأول مرة في التاريخ البشري على ما يرى الكثير من المؤرخين . وقد خصّها الله بالعديد من الأنبياء حتى قيل إن بناءها تم على يدهم وسكنوها « ما فيها موضع شبر الاّ وقد صلّى فيه نبي او قام فيه ملك »[3] . كما خصها الله باسراء رسوله المصطفى (عليه الصلاة والسلام) فقال في كتابه العزيز : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي

---

(١) لقد اتخذنا مصطلح أورشليم في بحثنا هذا عن تاريخ القدس القديم لان المدينة كانت تعرف بهذه التسمية في تلك العصور قبل ظهور بني اسرائيل وقبل أن تكون قد تكونت لغة عبرية بمعنى اسرائيلية بعدة قرون فهي إذن كلمة كنعانية (عربية) بحتة علينا ان نعتز بها مثلما نعتز بتسمية القدس .

(٢) يرى الأستاذ أولبرايت الذي يعد في مقدمة الثقاة في تاريخ فلسطين أن تاريخ الكنعانيين في فلسطين يرجع الى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد ، انظر : W. F. Albright : « Archaeology and the Religion of Israel », 1942, p. 68.

(٣) معجم البلدان ١ : ١١٢

باركنا حوله لنريه من آياتنا انه السميع البصير » .[١]

وانطلاقاً من عقيدة التوحيد نطق الملك الكنعاني (العربي) « ملكي صادق » ملك شاليم (اورشليم) « الكاهن لله العلي » . حين بارك ابراهيم الخليل (ع) بقوله : « مبارك الله العلي الذي اسلم أعداءك في يدك »[٢] ، وما زالت المدينة حتى يومنا هذا تقدسها الديانات السماوية الثلاث بكل تجلة وتعظيم . وملكي صادق ، هذا يرجع تاريخه الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وهو زمن ابراهيم الخليل (ع) وهو من نسل كنعان بن حام كان ملكاً على مدينة أورشليم وولايتها التي كانت تعرف باليبوسية نسبة الى يبوس ولد كنعان[٣] . وجاء في بعض التقاليد اليهودية أن « ملكي صادق » هو سام وان تقدمه بالعمر وشرف نسبه جعلاه جديراً بان يبارك ابراهيم (ع) ، ويرى العلماء المحدثون ان « ملكي صادق » من سلالة حام وكان محافظاً على سنّة الله القديمة بين شعب وثني ، وقد عرف بالتقوى والزهد . وقيل إن ملكي صادق كان يسكن هو وقومه في الكهوف وكان أول من اختط أورشليم وبناها وكان محباً للسلام حتى أطلق عليه ملك السلام ، ومن هنا جاء اسم المدينة « شالم » و « شليم » و « سالم » أي مدينة السلام . ويقول الانجيل إن السيد المسيح صار « على رتبة (ملكي صادق) رئيس كهنة الى الأبد » . ويقول بعد ذلك عن « ملكي صادق » إنه لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة . بل هو مشبه بابن الله . هذا يبقى كاهناً الى الابد »[٤] . فالتوراة والانجيل معاً يصفان الكاهن الكنعاني بصفة الكاهن الأعلى وبصفة الخلود ويرفعانه الى المنزلة التي يتلقى منه ابراهيم بركة الإله العلي . إله السموات والأرض .

وقد وصل الينا من أسماء ملوك أورشليم غير « ملكي صادق » الملك

---

(١) س ١٧ : ١
(٢) تك ١٤ : ٨
(٣) تك ١٠ : ١٥
(٤) رسالة العبرانيين ٥ : ٦ و ٧ : ٤

« عبدي هيبا » أو « عبدي خيبا » وهو الذي ورد اسمه في وثائق العمارنة في ست رسائل وجهها الى ملك مصر « أمنحوتب الرابع » ، أحد ملوك السلالة الثامنة عشرة ، وهو المسمّى أيضاً « اخناتون » ، وقد اشتهر هذا الملك العظيم الذي حكم بين سنة ١٣٧٥ و سنة ١٣٥٨ ق.م بدعوته لعقيدة التوحيد . ومن أهم ما ورد في هذه الرسائل طلب الملك « عبدي خيبا » العون من ملك مصر لصد هجمات أهل البادية « العبيرو » أو « الهبيرو » أو « الخبيرو » ، وهم العبريون أهل البادية الشمالية الذين منهم جاءت كلمة « عبري » التي شاع استعمالها للدلالة على اليهود في العصور التالية . وفي جملة اقوال هذا الملك : « إن هذه الأرض ، أرض أوروسالم ، لم يعطني اياها ابي ولا أمي ولكن أيدي الملك القوية هي التي ثبتتني في دار آبائي وأجدادي ، ولم اكن أميراً بل جندياً للملك وراعياً تابعاً للملك ... منحت ملكية ارض أوروسالم الى الملك الى الابد ولا يمكن ان يتركها للاعداء ... »[١] وكان آخر ملوك أورشليم عند هجوم بني اسرائيل بقيادة يشوع على المدينة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد الملك « أدوني صادق »[٢] . وقد ورد ذكر هذا الملك في التوراة في جملة الملوك الخمسة الذين اعتبروا من العموريين[٣] .

ونظراً لما كان لأورشليم من دور رئيسي في تاريخ فلسطين القديم ، فلا يمكن فصل البحث في تاريخها القديم عن تاريخ فلسطين بصورة عامة . لذلك فقد ضم هذا البحث تفاصيل لأحداث جانبية معاصرة لم يكن بالوسع إهمالها لصلتها بمنطقة أورشليم بوصفها جزءاً مهماً من فلسطين .

---

(١) R. W. Rogers « Cuneiform Parallels, to the Old Testament», N.y., 1912 pp. 268—278; A. Jeremias , « The old Testament in the Light of the Ancient East», London 1911 Vol. II, P. 27 : G. A. Barton, Archaeology and the Bible», Philadelphia, 1916, pp. 4o3 — 406.

(٢) يش ١٠ : ١

(٣) يش ١٠ : ٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منظر عام للقدس الحديثة .

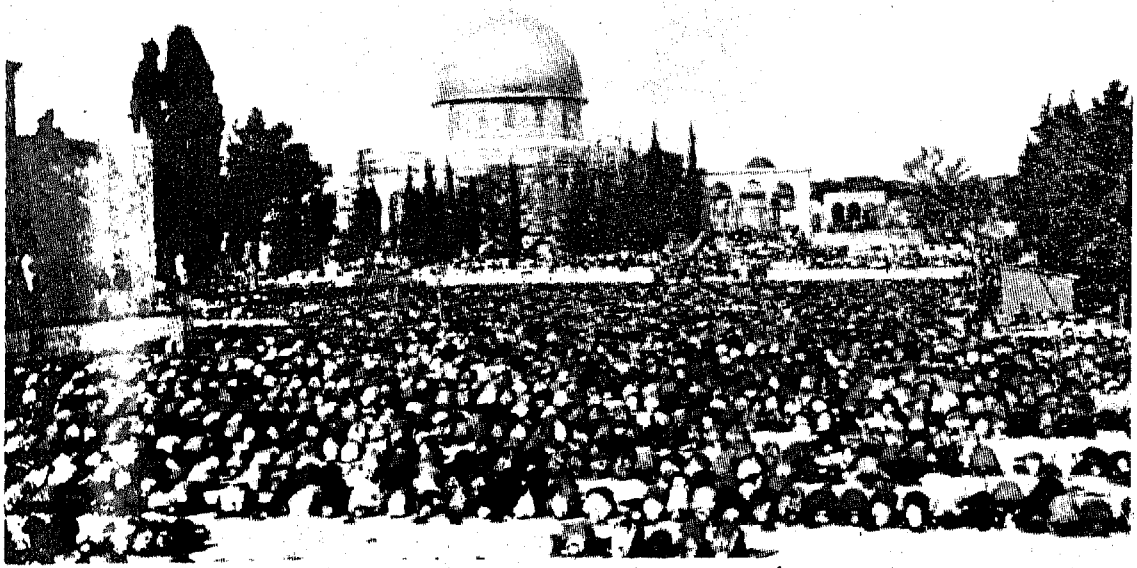

قدسية المسجد الأقصى تتجلى في هذا السجود الرائع في الصلاة إلى الله تعالى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

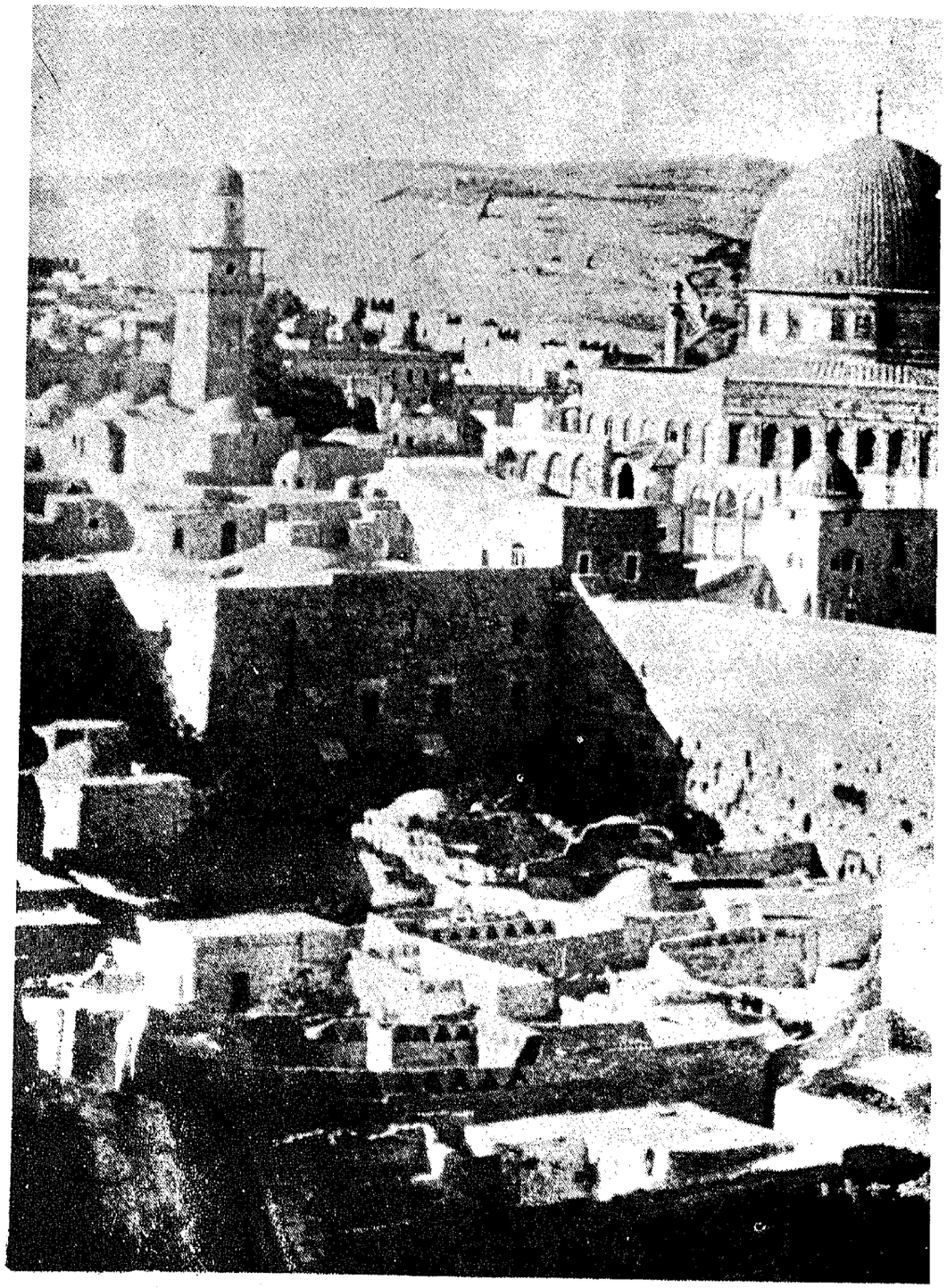

الجانب المهم من القدس الشريف وقبة الصخرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعض هذا البناء من القدس يعود إلى عهد صلاح الدين الأيوبي أو قبل ذلك .

٢ – تسمية المدينة في مختلف أدوارها :

سمّاها الكنعانيون ، سكان البلاد الأصليون ، « يرو – شالم » ، أو « يرو – شلم » ، و « شالم » ، و « شلم » اسم لاله كنعاني معناه السلام[١] . وقد جاءت فيما بعد بهذه التسمية ، أي « أورشليم » في التوراة[٢] ،وهي مشتقة من التسمية الكنعانية الأصلية . وسمّيت في التوراة أيضاً « ساليم »[٣] و « شاليم[٤] » و « مدينة الله »[٥] و « مدينة داود »[٦] و « مدينة الملك العظيم »[٧] و « مدينة يهوذا »[٨] و « أريئيل[٩] » ، و « القدس »[١٠] ، وورد ذكرها في الانجيل باسم « شليم » (رسالة العبرانيين ٧ : ٢) . وقد وردت باسم « أوروسالم » في الكتابات الكنعانية التي ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد أي مدينة السلام[١١] ، وظل اسم أورشليم شائعاً منذ ذلك العهد الى يومنا هذا ، ومن « ياروشالم » جاء الاسم الافرنجي « جيروزاليم » (Jerusolem) . وقد ذكر ياقوت في كتابه معجم البلدان أن المدينة وردت باسم أوريشلم بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين معجمة مفتوحة ولام مكسورة ويروى بالفتح وميم وقد يسكنون اللام فيقولون أوريشلم . وقد وردت أيضاً بحسب قوله باسم اوريسلم بالسين المهملة وباسم أوريشلوم

---

(١) طه باقر – مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج.٢ ص ٢٤٣
(٢) قض ١ : ٨ ؛ يش ١٠ : ١
(٣) مز ٧٦ : ٢ ؛ يوحنا ٣ : ٢٣
(٤) تك ١٤ : ١٨
(٥) مز ٤٦ : ٤
(٦) ٢ صم ٥ : ٧ ؛ ١ أخ ١١ : ٧
(٧) مز ٤٨ : ٢
(٨) ٢ أخ ٢٥ : ٢٨
(٩) اش ٢٩ : ١
(١٠) نح ١١ : ١
(١١) انظر ما تقدم حول رسائل الملك « عبدى خيبا » الى فرعون مصر في وثا/ق العمارنة .

واوريشلّم بتشديد اللام وأوراسلم بفتح الراء والسين [١] . وقد نسبت المدينة الى الملك الكنعاني « ملكي صادق » الذي عرف بالتقوى وحب الخير والسلام ولقب بملك شاليم ، اي « ملك السلام » ووصفته التوراة أنه « كاهن لله العلي أخرج خبزاً وخمراً لابراهيم وباركه »[٢] .

ومن أسماء أورشليم القديمة أيضاً « يبوس » نسبة الى اليبوسيين وهم فرقة من الكنعانيين سكنوا في أورشليم وحولها ، [٣] هم سكان أورشليم الأصليون نزحوا من جزيرة العرب ، وقد سمّاها الفراعنة في كتاباتهم الهيروغليفية « يابيثي » و « يابتي » وهو تحريف لاسم يبوس الكنعاني[٤] . وقد وردت تسمية يبوس في التوراة ووصفت أنها هي أورشليم[٥] . ووردت أيضاً في التوراة باسم « مدينة اليبوسيين »[٦] وسمّيت أيضاً « باليبوسي »[٧] ، ومن تسمية « يبوسيين » صار الكنعانيون يطلقون اسم « يبوس » على كل أورشليم .

وكان لليبوسيين قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من أورشليم كانوا يطلقون عليها اسم « صهيون » ، [٨] وقد سمّيت « حصن صهيون » ، ثم سمّيت بعد استيلاء الملك داوود عليها « مدينة داود » ، وذلك بقصد تغيير الاسم الكنعاني .[٩] ويلاحظ هنا أن الملك داود لم يكن لديه مجال لايجاد اسم

---

(١) ج ١ ، ٤٠٢

(٢) تك ١٤ : ١٨ — ٢٠

(٣) لقد ورد في كتاب الأستاذ طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » أن اليبوسيين هم من غير الساميين (ج ٢ ، ص ٢٨٢) ، والأصح هو أنهم قبيلة من الكنعانيين وان يبوس الذي سمي اليبوسيون باسمه هو احد أولاد كنعان بن حام كما جاء في التوراة (تك : ١٠ : ١٥) .

(٤) خيري حماد ، « الصهيونية ص ٥٥ » .

(٥) قض ١٩ : ١٠

(٦) قض ١٩ : ١١ ؛ يش ١٨ : ١٦ ؛ أخ ١١ : ٦

(٧) يش ١٨ : ٢٨ ؛ ١٥ : ٨

(٨) مز ٧٦ : ٢

(٩) ٢ صم ٥ : ٧ ، ٩ ؛ أخ ١١ : ٧ ؛ ٢ أخ ٥ : ٢ ؛ ١١ : ٥ ، ٧ ؛ ١مل٨ : ١